

لسيدي عمر بن سعيد الفوتي الطوري الكدوي
رحمه الله

الجزء الثاني

فضل الأذكار اللّازمة للطريقة على التفصيل

في فضل الأذكار اللازمة للطريقة على التفصيل، ودلائلها في الكتاب والسنة، وإجماع الأمة فأقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنه إلى سواء الطريق، اعلم أن الاستغفار من أهم الأبواب التي يُعتنى بها ويحافظ على العمل بها.

قال يحيى بن معاذ رضي الله تعالى عنه ليس بعارف من لم يكن غاية أمله من الله العفو. وقال ابن وهب: من عظمت ذنوب نفسه، لم يطمع في الرضا، وكان غاية أمله أن يطمع في العفو، ومن كملت معرفته لم ير نفسه إلا في هذه المنزلة.

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه عليك بالاستغفار، وإن لم يكن هناك ذنب، واعتبر استغفار النبي ﷺ بعد البشارة، واليقين بمغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر هذا في معصوم، وإن لم يكن هناك ذنب قط وتقدس عن ذلك، فما ظنك بمن لا يخلو من العيب والذنب في وقت من الأوقات اهـ.

وكان إبراهيم عليه السلام كثير التلاوة والبكاء فبكى يوماً بكاءً شديداً فنزل جبريل عليه السلام فقال: يا إبراهيم إن ربك يقول لك: هل رأيت خليلاً يعذب خليله؟ فقال: يا جبريل إذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي.

وإذا كان هذا حال إبراهيم عليه السلام من نبوته وخلته فما حال العاصي مع زلته وخطيئته، فحاسب نفسك قبل أن تُحاسب ومد لها قبل أن تعذب، وجاهدها الجهاد الأكبر، وقل عند ذبحها بسم الله، والله أكبر، فالعاقل يقيم هذا الميزان على نفسه، حتى يتبين له من أي الفريقين هو. كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً.

وإذا فهمت هذا فاعلم أن الآيات والأحاديث قد حضت على الاستغفار. أما الآيات فكثيرة منها قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٦، ١٧] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠] وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣] وقوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام فقلت: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢] وقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ [محمد: ١٩] وقوله تعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤] إلى أن قال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥] وقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ٣] الآيات في الاستغفار كثيرة، وأما الأحاديث فكثيرة معروفة لا يمكن استقصاؤها، ولكن أشير إلى طرف منها، فأقول: روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال: «يَنزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنيا حين يَبقَى الثُّلُثُ الأَخِير فيقولُ مَن يَدعُوني فأَستجيب لَهُ مَن يَسأَلُني أُعطِيهِ مَن يَستغفِرُني فأَغفِر لَهُ» وفي رواية لمسلم ينزل الله سبحانه وتعالى إلى سماء الدنيا حين يمضي ثلث الليل فيقول أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر وفي رواية إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه.

وروى ابن جرير، وابن المنذر، وابن حاتم عن ابن عمر، أنه كان يحيي الليل صلاة يقول: يا نافع أسحرنا فيقول لا. فيعاود الصلاة، فإذا قال نافع نعم يستغفر الله، ويدعو حتى يصبح.

وروى أبو داود في سننه، والطبراني في كتاب الدعاء وأبو يعلى، وابن مردويه عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أَتَاني آتٍ مِن رَبِّي فَقَالَ: مَن يَعمَلَ سُوءاً، أو يَظلِم نَفسَهُ، ثُم يَستَغفِر اللّهَ يَجِدُ اللّهَ غَفُوراً

رَحِيماً». وقد كانت شقت عليه الآية التي قبلها من يعمل سوءاً، يجز به، فأردت أن أبشر أصحابي قال: قلت يا رسول الله وإن زنى، وإن سرق ثم استغفر غفر له؟ قال: نعم قلت: يا رسول الله وإن زنى. وإن سرق ثم استغفر غفر له؟ قال: نعم. ثم قلت: نعم رغم أنف عويمر. ثم قال كعب بن ذهل وأنا رأيت أن أبا الدرداء يضرب أنف نفسه، وروى ابن جرير، وابن المنذر من طريق عن ابن عباس في قوله: ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه، ثم يستغفر الله قال: أخبر الله تعالى عباده بحلمه، وعفوه، وكرمه، وسعة رحمته، ومغفرته، فمن أذنب ذنباً صغيراً كان أو كبيراً، ثم يستغفر لله يجد الله غفوراً رحيماً، ولو كانت ذنوبه أعظم من السموات والأرض والجبال.

وروى ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى، وعبد بن حميد والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود قال: كان بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم ذنباً أصبح قد كتب له كفارة ذلك الذنب على بابه، وإذا أصاب البول شيئاً منه، قرضه بمقراض. فقال رجل: لقد آتى الله بني إسرائيل خيراً. فقال ابن مسعود ما آتاكم الله خير مما آتاهم، جعل لكم الماء طهوراً. وقال: ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه، ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً.

وروى ابن جرير، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: جاءت امرأة إلى عبد الله بن مغفل فسألته عن امرأة فجرت فحملت، ولما ولدت قتلت ولدها فقالت: ما لها فقال: النار فانصرفت وهي تبكي فدعاها فقال: ما أرى أمرك إلا أحد أمرين: من يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً، فمسحت عينها ثم مضت.

وروى الترمذي عن أبي موسى الأشعري قال: قال النبي ﷺ: **«أَنْزَلَ الله تَعَالَى عَلَيَّ أَمَانَيْنِ لأُمَّتِي وَمَا كَانَ الله لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِم وَمَا كَانَ الله مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ فَإِذَا مَضَيْتُ تَرَكْتُ فِيهِم الاسْتِغْفَار»** وفي ترغيب الطالب إلى أشرف المطالب عن علي رضي الله عنه أنه قال: عجبت لمن يهلك ومعه النجاة قالوا: وما هي قال: الاستغفار قال: وقرأ وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون. ورُوي عن مكحول ما دام الناس خمسة عشر يستغفر كل واحد منهم الله في اليوم خمسة وعشرين مرة لم يهلكوا بعذاب عام.

وفي ترغيب الطالب قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه، إني عجبت ممن يشكو ضيق الرزق ومعه مفاتيحه قيل له وما هي؟ قال الاستغفار، وقد نبه عليه قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢] وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«وَالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَو لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ الله بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَومٍ يُذْنِبُون وَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرَ لَهُم»**.

وروى أبو داود، والترمذي عن مولى لأبي بكر رضي الله تعالى عنه، عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَا أَصَرَّ مَنِ ٱسْتَغْفر وَإِنْ عَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّة»** قال الترمذي: ليس إسناده بالقوي.

وروى الترمذي عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا ابنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي يَا ابنَ آدَمَ لَو بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عِنَانَ السَّمَاءِ ثُم ٱسْتَغْفَرتَنِي غَفَرتُ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ لَو أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُم لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً لأَتَيْتُكَ بِقُرابِهَا مَغْفِرَة»**.

وروى ابن ماجه بإسناد جيد عن عبد الله بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: **«طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ ٱسْتِغْفَاراً كَثِيراً»** وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال فيما يحكيه عن ربه عزَّ وجلَّ: **«إِذَا أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْباً، فَقَالَ: اللَّهُمَّ ٱغْفِر لِي ذُنُوبِي فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْباً فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبّاً يَغْفِرُ الذُّنُوبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: رَب ٱغْفِر لِي ذَنْبِي فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْباً فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبّاً يَغْفِرُ الذُّنُوبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: رَبِّ ٱغْفِرِ لِي ذَنْبِي فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْباً فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبّاً يَغْفِرُ الذُّنُوبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ قَدْ غَفَرتُ لَهُ فَلْيَفْعَل مَا شَاءَ»**.

وفي رواية اعمل ما شئت قد غفرت لك وروى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنه في النبي ﷺ قال: **«يَا مَعْشَر النِّسَاء أَكْثِرْنَ مِنَ الاسْتِغْفَارِ فَإِنِّي لأُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ قَالَتْ ٱمْرَأَةٌ مِنهُنَّ: مَا لَنَا أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: تُكْثِرْنَ اللَّعنَ وَتَكْفُرنَ العَشِير مَا رَأَيتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبُ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ قَالَتْ: مَا نُقْصَانُ العَقْلِ وَالدِّين؟ قَالَ: شَهَادَةُ ٱمْرَأَتَيْنِ بِشَهَادَةِ رَجُلٍ، وَتَمْكُثُ الأَيَّامَ لَا تُصَلِّي»**.

وروى ابن حنبل والحاكم وقال: صحيح الإسناد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«قَالَ إِبْلِيسُ**

لَعَنَهُ اللَّهُ: وَعِزَّتِكَ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَادَامَتْ أَرْوَاحُهُم فِي أَجْسَادِهِم فَقَالَ الله: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي».

وفي ترغيب الطالب روي بإسناد لا بأس به عن الزبير رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أحب أن تقل ذنوبي فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «اسْتَغْفِرِ اللَّهَ دَائِماً تَقِلُّ ذُنُوبُكَ» وفي ترغيب الطالب وروى رسول الله ﷺ قال: «أَكْثِرُوا مِنَ الاسْتِغْفَارِ فَإِنَّ الاسْتِغْفَارَ يَأْكُلُ الذُّنُوبَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ وَكَمَا تَأْكُلُ الشَّاةُ الخَضِرَ وَإِنَّ صَحِيفَةَ المَرْءِ إِذَا عُرِجَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا اسْتِغْفَارٌ لَمْ يَكُن لَهَا نُورٌ، وَإِذَا طَلَعَتْ وَفِيهَا الاسْتِغْفَارُ كَانَ لَهَا نُورٌ يَتَلألأُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا إِلَّا اسْتِغْفَارٌ يَسِيرٌ وَمَا جَلَسَ قَوْمٌ بِمَجْلِسِ لَهوٍ ثُمَّ خَتَمُوهُ بالاسْتِغْفَارِ إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ مَجْلِسَهُم ذَلِكَ الاسْتِغْفَارُ كُلَّهُ».

وروى الطبراني في كتاب الدعاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني أذنب فقال له النبي ﷺ: «إِذَا أَذْنَبْتَ فَاسْتَغْفِر رَبَّكَ» قال فإني أستغفر ربي، ثم أعود فأذنب قال: «فَإِذَا أَذْنَبْتَ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ رَبَّكَ» فقال في الرابعة: «اسْتَغْفِر رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَكُونَ الشَّيْطَانُ هُو المُخسأ».

وروى صاحب الفردوس عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ عَبْدٍ يَخْتِمُ صَحِيفَتَهُ عِنْدَ مَغِيبِ الشَّمسِ بالاسْتِغْفَارِ إِلَّا مَحَىٰ مَا دُونَهَا» وروى أبو منصور الديلمي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ صَدَإٍ جَلاء، وَإِنَّ جَلاءَ القُلُوبِ الاسْتِغْفَار».

وروى الطبراني في كتاب الدعاء عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَا لَقِيَ عَبْدٌ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي صَحِيفَتِهِ بِشَيْءٍ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الاسْتِغْفَارِ» اهـ والأحاديث الواردة في فضل الاستغفار كثيرة جداً وفيما ذكرناه كفاية.

وأما فضل الصلاة على النبي ﷺ فمعلوم مشهور بين المسلمين، ويكفي في ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] وأما الأحاديث الواردة في فضلها فكثيرة مشهورة. روى مسلم وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن حبان في صحيحه مرفوعاً، من صلى عليّ واحدة صلى الله تعالى عليه بها عشراً. روى الترمذي من صلى عليّ واحدة كتب الله له بها عشر حسنات. وروى الإمام أحمد، والنسائي، واللفظ له، وابن حبان في صحيحه البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليّ ومن صلى عليّ مرة واحدة صلى الله تعالى عليه بها عشراً وفي رواية عشر صلوات. وروى الطبراني مرفوعاً من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشراً، ومن صلّى عليَّ عشراً صلى الله عليه مائة، ومن صلّى على مائة كتب الله تعالى بين عينيه براءة من النفاق، وبراءة من النار، وأسكنه الله تعالى يوم القيامة مع الشهداء.

روى الإمام أحمد والحاكم وقال: صحيح الإسناد مرفوعاً إن جبريل قال لي ألا أبشرك إن الله عزَّ وجلَّ يقول: من صلّى عليك صليت عليه، ومن سلم عليك سلمت عليه، وروى الإمام أحمد مرفوعاً بإسناد حسن من صلّى على النبي ﷺ واحدة، صلى الله عليه وملائكته سبعين صلاة.

وروى الطبراني بإسناد حسن مرفوعاً حيثما كنتم فصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني وروى أبو حفص بن شاهين من صلّى عليّ في يوم الجمعة ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده في الجنة.

وروى البيهقي بإسناد حسن إن صلاة أمتي تعرض عليّ في كل يوم جمعة، فمن كان أكثرهم عليّ صلاة كان أقربهم مني منزلة. وروى الطبراني مرفوعاً من قال جزى الله عنا محمداً ما هو أهله أتعب سبعين كاتباً ألف صباح. وفي رواية ألفي صباح.

وروى الطبراني مرفوعاً من قال: اللهم صلي على محمد وأنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة، وجبت له شفاعتي، وفي لوامع الأنوار في الأدعية والأذكار لشهاب الدين أحمد القسطلاني، ويحكى عن سفيان الثوري قال: رأيت رجلاً من الحجاج يكثر الصلاة على النبي ﷺ فقلت له: هذا موضع الثناء على الله عزَّ وجلَّ، فقال ألا أخبرك إنني كنت في بلدي ولي أخ قد حضرته الوفاة، فنظرت، فإذا وجهه قد أسودَّ، وتخيلت أن البيت قد أظلم، فأحزنني ما رأيت من حال أخي، فبينما أنا كذلك إذ دخل عليّ رجل البيت، وجاء إلى أخي ووجه الرجل كأنه السراج المنير، فكشف عن وجه أخي ومسح بيده، فزال ذلك السواد وصار وجهه كالقمر. فلما رأيت ذلك فرحت، وقلت له: من أنت جزاك الله تعالى خيراً عما صنعت، فقال: أنا ملك موكل بمن يصلي على النبي ﷺ أفعل به هكذا وقد كان

أخوك يكثر من الصلاة على النبي ﷺ وكانت قد حصلت له محنة، فعُوقب بسواد ومعهم المحابر، فيقول الله سبحانه وتعالى لهم: أنتم أصحاب الحديث طالما كنتم تكتبون الصلاة على النبي ﷺ انطلقوا إلى الجنة، رواه الطبراني، وعن الشيخ علي بن عبد الكريم الدمشقي قال: رأيت في المنام محمد بن الإمام زكي الدين المنذري بعد موته عند وصول الملك الصالح، وتزيين المدينة له فقال: لي فرحتم السلطان؟ قلت: نعم فرح الناس به فقال: أما نحن فدخلنا، وقبلنا يديه يعني النبي ﷺ وقال: أبشروا كل من كتب بيده قال رسول الله ﷺ فهو معي في الجنة.

وحكى أبو اليمين بن عساكر عن ابن العباس بن عبد الدايم وكان كثير النقل لكتب العلم على اختلاف فنونه أنه حدّثه من لفظه قال: كنت إذا كتبت في كتب الحديث وغيرها، أكتب لفظ الصلاة دون لفظ التسليم، فرأيت النبي ﷺ في المنام فقال لي: لِمَ تحرم نفسك أربعين حسنة؟ قلت: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال إذا جاء ذكري تكتب صلى الله عليه، ولا تكتب وسلم وهو أربعة أحرف بعشر حسنات قال: وعدهنّ رسول الله ﷺ أو كما قال اهـ.

وروى الإمام أحمد، والترمذي، والحاكم وصححه، وقال الترمذي حسن صحيح عن كعب بن عجرة قال: قلت يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي قال: ما شئت قلت: أربع؟ قال: ما شئت، وإن زدت فهو خير لك. قلت: النصف؟ قال: ما شئت وإن زدت فهو خير لك. قلت: أجعل لك صلاتي كلها قال: إذا تكفى همك، ويغفر ذنبك. وفي رواية لهم إذاً يكفيك الله هم دنياك وآخرتك، وقوله فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال الحافظ المنذري: أي كم أجعل لك من دعائي صلاة عليك اهـ.

قال الشيخ أبو المواهب الشاذلي: رأيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله ما معنى قول كعب بن عجرة فكم أجعل لك من صلاتي قال: أن تصلي عليَّ وتهدي ثواب ذلك إلى نفسك.

وفي لواقح الأنوار للقسطلاني وحكى الشيخ أبو حفص عن الحسن السمرقندي، فيما يرويه عن بعض أسانيده عن أبيه قال: وقف رجل في الحرم، وكان كثير الصلاة على النبي ﷺ، حيث كان بين الحرم وعرفة ومنى فقلت له: أيها الرجل إن لكل مقام مقالاف، فما بالك لا تشتغل بالدعاء، ولا بالتطوع بالصلاة، سوى أنك تصلي على النبي ﷺ؟ فقال: إني خرجت من خراسان حاجاً إلى هذا البيت، وكان والدي معي، فلما بلغنا الكوفة، اعتل والدي وقويت به العلة فمات. فلما مات غطيت وجهه بإزاري، ثم غبت عنه وجئت إليه، فكشفت وجهه لأراه، فإذا صورته كصورة الحمار، فلما رأيته كذلك عظم غمي، وتشوشت بسببه، وحزنت حزناً شديداً وقلت في نفسي: أظهر للناس هذا الحال الذي صار والدي. فقعدت عنده مهموماً، فأخذتني سنة من النوم، فنمت.

فبينما أنا نائم، إذ رأيت في منامي كأن رجلاً دخل علينا، وجاء إلى والدي، وكشف عن وجهه، فنظر إليه ثم غطاه، ثم قال لي: ما هذا الهم العظيم الذي أنت فيه؟ فقلت: وكيف لا أهتم وقد صار والدي بهذه المحنة؟ فقال: أبشر إن الله عزّ وجلّ أزال عن والدك هذه المحنة، قال: ثم كشف الغطاء عن وجهه فإذا هو كالقمر الطالع، فقلت للرجل: بالله من أنت؟ فقد كان قدومك مباركاً؟ فقال: أنا المصطفى ﷺ فلما قال ذلك فرحت فرحاً عظيماً، وأخذت بطرف ردائه ﷺ فلففته على يدي، وقلت بحق الله يا سيدي، يا رسول الله إلا أخبرتني بالقصة فقال: إن والدك آكل الربا، وإن حكم الله عزّ وجلّ أن من أكل الربا، يحوّل الله صورته عند الموت كصورة الحمار، إما في الدنيا، وإما في الآخرة ولكن كان من عادة والدك أن يصلي عليّ في كل ليلة قبل أن يضطجع على فراشه مائة مرة فلما عرضت له هذه المحنة من أكل الربا جاءني الملك الذي يعرض عليّ أعمال أمتي، فأخبرني بحال والدك، فسألت الله تعالى فشفعني فيه، فاستيقظت فكشفت عز وجه والدي فإذا هو كالقمر ليلة البدر، فحمدت الله تعالى وشكرته، وجهزته ودفنته، وجلست عند قبره ساعة.

فبينما أنا بين النائم واليقظان إذا أنا بهاتف يقول لي: أتعرف هذه الوضاءة التي حفّت والدك ما كان سببها قلت: لا قال: كان سببها الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

فآليت على نفسي أني لا أترك الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، على أية حالة كنت، وفي أي مكان كنت اهـ.

وفي لواقح الأنوار القدسية في العهود المحمدية، أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن نكثر من الصلاة

والتسليم على رسول الله ﷺ ليلاً ونهاراً، ونذكر لإخواننا ما في ذلك من الأجر والثواب، ونرغبهم فيه كل الترغيب، إظهاراً لرسول الله ﷺ، وإن جعلوا لهم ورداً كل يوم وليلة صباحاً ومساء من ألف صلاة إلى عشرة آلاف صلاة، كان ذلك من أفضل الأعمال قال: وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول: صلاة الله تعالى على عباده لا يدخلها العدد، لأنه ليس لصلاته ابتداء ولا انتهاء، وإنما دخلها العدد من حيث مرتبة العبد المصلي، لأنه مقيّد محصور بالزمان، فتنزل الحق تعالى للعبد بحسب شاكلة العبد، وأخبر أنه تعالى يصلي على عبده بكل مرة عشراً فافهم.

ويؤيد ما قلناه كون العبد يسأل الله تعالى أن يصلي على نبيه دون أن يقول: اللهم إني صليت على محمد مثلاً، لأنّ العبد إذا كان يجهل رتبة رسول الله ﷺ، فرتبة الحق تعالى أولى، فعلم أن تعداد الصلوات على النبي ﷺ، إنما هو من حيث سؤالنا نحو الله تعالى، أن يصلي عليه فيحسب لنا كل سؤال مرة، ويحتاج المصلي عليه إلى طهارة وخضوع مع الله تعالى، لأنها مناجاة لله، كالصلاة ذات الركوع والسجود، وإن لم تكن الطهارة لها شرطاً في صحتها، وصاحبها بين يدي الله عزّ وجلّ في محل القرب يسأل الله أن يصلي على نبيه، وإن كان الفضل لمحمد ﷺ أصالة، فإنه هو الذي سنّ لنا أن نصلي عليه، ليحصل للمصلي الصلاة من الله تعالى فمن واظب على ما ذكرناه كان له أجر عظيم، وهو هنا أولى ما تقرب به متقرب إليه ﷺ، وما في الوجود من جعل الله تعالى له الحل والربط دنيا وآخرة مثل محمد ﷺ، فمن خدمه على الصدق والمحبة والصفاء، دانت له رقاب الجبابرة، وأكرمه جميع المؤمنين كما نرى ذلك فيمن كان مقرباً عند ملوك الدنيا، ومن خدم السيد، خدمته العبيد، وكانت هذه طريقة الشيخ نور الدين الشوني، وكانت طريقة الشيخ العارف بالله تعالى أحمد الزواوي، فكان ورد الشيخ نور الدين الشوني كل يوم عشرة آلاف صلاة، وكان ورد الشيخ أحمد الزواوي أربعين ألف صلاة، وقال لي مرة طريقتنا أن نكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ، حتى يصير يجالسنا يقظة، ونصحبه مثل الصحابة، ونسأله عن أمور ديننا، وعن الأحاديث التي ضعفّها الحفاظ ونعمل بقوله ﷺ فيها ولما لم يقع ذلك لنا، لم نكن من المكثرين للصلاة عليه ﷺ.

قال واعلم يا أخي أن طريق الوصول إلى حضرة الله تعالى من طريق الصلاة على النبي ﷺ من أقرب الطرق، فمن لم يخدمه ﷺ الخدمة الخاصة به، وطلب دخول حضرة الله تعالى فقد رام المحال، ولا يمكنه حجاب الحضرة أن يدخل، وذلك لجهله بالأدب مع الله تعالى، فحكمه حكم الفلاح إذا طلب الاجتماع بالسلطان بغير واسطة فافهم.

فعليك يا أخي بالإكثار من الصلاة على رسول الله ﷺ ولو كنت سالماً من الخطايا، فإن غلام السلطان و عبده إذا سكر لا يتعرض له الوالي، بخلاف من لم يكن غلاماً له، ويرى نفسه فوق خدم السلطان وعبيده وغيرهم، ولا يدخل من دائرة الوسائط، وما رأينا قط أحداً يتعرض لغلام الوالي إذا ذكر أبداً، إكراماً للوالي، فكذلك خدّام النبي ﷺ لا يتعرض لهم الزبانية يوم القيامة، إكراماً لرسول الله ﷺ.

فقد فعلت الحماية مع التقصير، ما لا تفعله الأعمال الصالحة، مع عدم الاستناد لرسول ﷺ الاستناد الخاص، وقد كان زمن شيخنا نور الدين الشوني من هو أكثر علماً وعملاً منه، ولكنه لم يكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ كما كان يكثر الشيخ، فلم يكن ينقص له علمه وعمله، إلّا التقرب الذي فيه الشيخ نور الدين، فكانت حوائجه مقضية، وطريقته ماشية وسائر العلماء والمجاذيب تحبه، وليس مقصود كل قاصد من جميع الناس على ذكر الله، إلا المحبة في الله تعالى، ولا جمعهم على الصلاة على رسول الله ﷺ إلا المحبة فيه فافهم.

قال الشعراني وقد قدّمنا أوائل العهود أن صحبة النبي ﷺ الصحبة البرزخية تحتاج إلى صفاء عظيم، حتى يصلح العبد لمجالسته ﷺ وأن من كانت له سريرة سيئة، يستحي من ظهورها في الدنيا والآخرة، لا تصح له صحبة مع رسول الله ﷺ، ولو كان على عبادة الثقلين، كما لم تنفع صحبة المنافقين، ومثل ذلك تلاوة الكفار القرآن، لا ينتفعون بها لعدم إيمانهم أحكامه.

روى الثعلبي في كتاب العرائس أن لله تعالى خلقاً وراء جبل قاف، لا يعلم عددهم إلا الله ليس لهم عبادة إلّا الصلاة على رسول الله ﷺ، ثم قال الشعراني، وقد حبب إليّ أن أذكر لك يا أخي جملة من فوائد الصلاة على رسول الله ﷺ؛ تشويقاً لك لعل الله تعالى يرزقك محبته الخاصة، ويصير شغلك في أكثر أوقاتك الصلاة على رسول الله ﷺ، وتصير تهدي ثواب كل عمل عملته في صحيفة رسول الله ﷺ، كما أشار إليه كعب بن عجرة إني أجعل لك

صلاتي كلها، أي أجعل لك ثواب أعمالي فقال له النبي ﷺ إذن يكفيك الله همّ دنياك وآخرتك من ذلك، وهو أهمها صلاة الله تعالى وسلامه وملائكته ورسله على من صلّى عليه، وتكفير الخطايا وتزكية الأعمال، ورفع الدرجات ومنها مغفرة الذنوب، واستغفار الصلاة عليه لقائلها ومنها كتابة قيراط من الأجر مثل جبل أحد، والكيل بالميزان الأوفى، ومنها كفاية أمر الدنيا والآخرة لمن جعل صلاته عليه كلها له كما تقدم، ومنها محو الخطايا وفضلها على عتق الرقاب، ومنها النجاة من سائر الأهوال، وشهادة رسول الله ﷺ له بها يوم القيامة ووجوب الشفاعة، ومنها رضا الله تعالى ورحمته والأمان من سخطه والدخول تحت ظل العرش، ومنها رجحان الميزان في الآخرة وورود الحوض، والأمان من العطش، ومنها العتق من النار والجواز على الصراط كالبرق الخاطف، ورؤية المقعد المقرب من الجنة قبل الموت، ومنها كثرة الأرواح في الجنة، والمقام الكريم، ومنها رجحانها على أكثر من عشرين غزوة، وقيامها مقامها، ومنها طهارة ونمو المال ببركتها، ومنها أنه تقضى له بكل صلاة مائة حاجة بل أكثر، ومنها أنها عبادة وأحبّ الأعمال إلى الله تعالى، ومنها علامة على أن صاحبها من أهل الجنة، ومنها أن الملائكة تصلي على صاحبها، ما دام يصلي على رسول الله ﷺ، ومنها أنها تزيّن الملجس وتنفي الفقر، وضيق العيش، ومنها أنه يلتمس بها مظان الخير، ومنها أن صاحبها أولى الناس به ﷺ يوم القيامة، ومنها أنه ينتفع هو ووالداه بها وبثوابها، وكذلك من أهديت في صحيفته، ومنها أنها تقرّب إلى الله تعالى وإلى رسول الله ﷺ، ومنها أنها نور لصاحبها في قبره ويوم حشره وعلى الصراط، ومنها أنها تنصر على الأعداء وتبرئ القلوب من النفاق والصدأ، ومنها رؤية النبي ﷺ في المنام أن أكثر منها في اليقظة وهي من أبرك الأعمال وأفضلها وأكثرها نفعاً في الدنيا والآخرة وغير ذلك من الأمور التي لا تخفى اهـ.

وعن حذيفة قال: الصلاة على النبي ﷺ تدرك الرجل وولده وولد ولده، ذكره ابن بشكوال اهـ.

ويحكى عن الشبلي رحمه الله تعالى قال: مات رجل من جيراني فرأيته في المنام، فقلت له: ما فعل الله تعالى بك: قال: يا شبلي مرت بي أهوال عظيمة، وذلك أنه أرتج عليّ عند السؤال فقلت في نفسي: من أين أتي عليّ؟ ألم أمت على الإسلام؟ فنوديت هذه عقوبة إهمالك لسانك في الدنيا فلما هم بي الملكان، حال بيني وبينهما رجل جميل الشخص، طيب الرائحة، فذكرني حجتي فقلت: من أنت يرحمك الله تعالى؟ قال: أنا شخص خُلقت من صلاتك على النبي ﷺ، وأمرت أن أنصرك في كل كرب ذكره ابن بشكوال اهـ انظر لوامع الأنوار للقسطلاني.

وقال في الفتح المبين: الصلاة والسلام على سيد السادات من أهم المهمات، في جميع الأوقات لمن يريد القرب من رب الأرضين والسماوات، وأنها تجلب الأسرار والفتوحات، وتصفّي البواطن من جميع الكدورات، وأنها تتأكد في حق أهل البداية وأرباب الإرادات، وأصحاب النهايات، ويستوي للاحتياج إليها الطالب والسالك، والمريد المقارب، والعارف الواصل للطالب تربيه! والعارف تبقيه بعد ما تفنيه، وإن شئت قلت الطالب تعينه على السلوك، والمريد ترفعه عند الشكوك، والعارف تقول له ها أنت وملك الملوك.

وإن شئت قلت الطالب تزيده قوة، والمريد تكسبه الفتوة، والعارف تمسكه في مقام الهيبة، وإن شئت قلت الطالب تحمله والمريد تكمله، والعارف تلونه، وإن شئت قلت الطالب تحبب إليه الأعمال، والمريد تكسبه الأحوال، والعارف تثبته في مقامات لا تزال، وإن شئت قلت الطالب تكسبه استنارة، والمريد تمده بالعبارة، والعارف تغنيه عن الإشارة، وإن شئت قلت الطالب يقوي بها إيقانه، والمريد يكثر منها إيمانه، والعارف يزداد منها عيانه، وإن شئت قلت: الطالب تثبته، والمريد تزيده، والعارف تعينه.

وإن شئت قلت الطالب تكسبه الأطراق، والمريد تفيض عليه الأشراق، والعارف تؤيده عند التلاق، وإن شئت قلت الطالب تزداد بها أنواره، والمريد تفيض منها أسراره، والعارف يستوي لربه ليله ونهاره.

وإن شئت قلت الطالب تحبب إليه الأعمال، والمريد تصحح لديه الأحوال، والعارف تؤيده عند الوصال، وإن شئت قلت الطالب تزيده تشوقاً، والمريد تطربه تملقاً، والعارف يستمد منها تحققاً، وإن شئت قلت الطالب تكسبه النشاط، والمريد تحميه من الانحطاط، والعارفين يتأدب بها على البساط.

وإن شئت قلت الطالب تكسبه الأنوار، والمريد تكشف له الآثار، والعارف تلزمه الاضطرار، ولا يكون له مع غير الله قرار، وإن شئت قلت الطالب تشوقه بالمنامات، والمريد تمده بالكرامات، والعارف تحوله في المقامات،

وإن شئت قلت الطالب تؤيده بالثبوت، والمريد تطلعه على غيب الملكوت، والعارف تهيمه بالجبروت، وإن شئت قلت الطالب تشوقه إلى اللقاء، والمريد تدعوه للملتقي، والعارف تزيده تحققاً اهـ.

ولنورد هنا قصيدة الشيخ الحضرمي لما ضمنها رحمه الله تعالى من إغراء الأحباب على ملازمة خدمة هذا الجناب، والتمسك بهذا الركاب، وإدامة قرع هذا الباب، وهي هذه صلاة ثم تسليم مجدد.

على الهادي إمام الخلق أحمد ... إذا ما شئت في الدارين تسعد
فأكثر بالصلاة على محمد ... وإن صليت فابغ الأجر فيها
وشفع بالصلاة على محمد ... وإن شئت القبول بها يقينا
فتختم بالصلاة على محمد ... فلا صوم يصح ولا صلاة

لمن ترك الصلاة على محمد

فعلمك كله عقباه خير ... إذا صليت فيه على محمد
وقم في الليل وادع الله ... وارغب لربك بالصلاة على محمد
وقل يا رب لا تقطع رجائي ... وكن لي بالصلاة على محمد
فعجّل بالمتاب على عبيد ... توسل بالصلاة على محمد
يخاف ذنوبه لكن ويرجوه ... أماناً بالصلاة على محمد
فكن لي عند خاتمتي فإني ... سألتك بالصلاة على محمد
فما تتضاعف الحسنات إلا ... بتكرير الصلاة على محمد
وإن أبصرت قوماً ليس فيهم ... منيب بالصلاة على محمد
فجنبّ عنهم واطلب سواهم ... وذكرّ بالصلاة على محمد
فما الخيرات والبركات جمعاً ... ترى إلا الصلاة على محمد
فما الخيرات والبركات إلّا ... جميعاً بالصلاة على محمد
وخف مولاك في سرٍ وجهر ... وصلِّ على الشفيع لنا محمد
وإن كانت ذنوبك ليس تحصى ... تكفرّ بالصلاة على محمد
وإن جاء الممات ترى أموراً ... تسرُّك بالصلاة على محمد
وعند القبر تظفر بالأماني ... وترحم بالصلاة على محمد
ولا تخش من الملكين رعباً ... إذا سألاك قل لهما محمد
رسول الله حقاً قد تبعنا ... وآمنا وصدقنا محمد
وفي ضيق الضريح لك اتساع ... وتلهم بالصلاة على محمد
وفي يوم الحساب إذا بعثنا ... نؤمن بالصلاة على محمد
وتأت الحوض تشرب منه كأساً ... فتروى بالصلاة على محمد
وتدخل جنة لا موت فيها ... بما قدمت من ذكري محمد
فهذا كله من فضل ربي ... هدانا بالصلاة على محمد
وتنعم بالنعيم وحور عين ... بدار جارنا فيها محمد
وتنظر وجه ربك ذي الجلال ... يحفظك الصلاة على محمد
فتحمده وتشكره كثيراً ... على فضل الصلاة على محمد
رسول ابطحي هاشمي ... شفيع المذنبين غدا محمد
سلام طيب أرج بهيج ... على المختار سيدنا محمد
أيا هادي الأنام ويا شفيع ... ويا خير البرية يا محمد
عسى منك القبول لحضرمي ... يخصك بالتحية يا محمد
قلت أيا هادي البرايا يا حبيبي ... عمادي ناصري غوثي محمد

تـولَّ أمـور بـعـد وهـو غـمـر
لـو عـد مـنـك يـصـدق يـا مـحـمـد
فـأنـت حـيـاة نـفـسـي مـاء عـيـنـي
وقـوت الـروح أي والله أحـمـد
ويـا خـيـر الـبـرايـا كـن شـفـيـعـاً
لـه دون انـقـطـاع يـا مـحـمـد

فائدة: في اعتبار كثرة الملائكة، وأنهم أكثر جند الله تعالى وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال: «**أَطَّت السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ قدم إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ رَاكِعٌ**» وروي أن بني آدم عشر الجن، والجن وبنو آدم عشر حيوانات البر، وهؤلاء كلهم عشر حيوانات البحر، وكل هؤلاء عشر ملائكة الأرض الموكلين، وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الدنيا، وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية، ثم على هذا الترتيب إلى السابعة ثم الكل في مقابلة الكرسي نزر قليل، ثم هؤلاء عشر ملائكة السرادق الواحد من سرادقات العرش، التي عددها ستمائة ألف سرادق، طول السرادق وعرضه وسمكه إذا قوبلت به السموات والأرض وما بينهما، فإنما تكون شيئاً يسيراً، وقدراً صغيراً وما من مقدار موضع قدم منها، إلا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم، لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة، الذين يحفوّن حول العرش، كقطرة في بحر، ولا يعلم عددهم إلا الله تعالى.

وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة، يطوفون به مهللين ومكبرين، ومن ورائهم سبعون ألفاً قياماً، وقد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير، ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا اليمين على الشمال، ما منهم أحد إلا وهو يسبح بما لم يسبح به الآخر. ثم كل هؤلاء في ملائكة اللوح، الذي هم أشياع إسرافيل عليه السلام نزر قليل.

وقيل: بين القائمين من قوائم لعرش خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام، وقيل: في عظم العرش، له ثلاثمائة وستة وستون قائمة، قدر كل قائمة كالدنيا ألف مرة، وبين القائمتين ستون ألف صحراء، في كل صحراء ستون ألف عام، وفوق العرش سبعون حجاباً في كل حجاب سبعون ألف عام، وبين كل حجاب وحجاب سبعون ألف عام، وكل ذلك معمور بالملائكة الكرام، وكذا ما فوق الحجب السبعين من عالم الرّقا بتشديد الراء والقاف، فإن هؤلاء الملائكة كلهم يصلون عشراً على من صلى على النبي ﷺ مرة واحدة، هكذا دائماً أبداً أكثر أو قلل هذا في غير صلاة الفاتح لما أغلق، وأما هي فإن من صلّى بها مرة فتكتب له بكل صلاة صدرت من كل ملك في العالم بستمائة ألف صلاة، مع صلاة كل ملك عليه عشراً فهذا في عموم المؤمنين.

وأما صلاة الفاتح لما أغلق فلها ثلاث مراتب مرتبة ظاهرة، ومرتبة باطنة، ومرتبة باطن الباطن، وكنت أردت أن أبينّها كلها في هذا المحل، وأذكر منها العجائب والغرائب، لكن منعني من ذلك عدم استحقاق أكثر الناس معرفة ما هنالك، فها أنا أكتفي بذكر بعض ما في جواهر المعاني، من ذكر بعض ما جمعته المرتبة الظاهرة فقط.

فاقول وبالله تعالى التوفيق قال شيخنا رضي الله تعلى عنه وأرضاه وعنا به، وأما صلاة الفاتح لما أغلق فإني سألته ﷺ فأخبرني أولاً بأنها بستمائة ألف صلاة فقلت له: هل في جميع تلك الصلوات أجر من صلى بستمائة ألف صلاة مفردة؟ فقال ﷺ: «**نَعَم يَحْصُلُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ مِنْهَا أَجْرُ مَنْ صَلَّى بِسِتَّمَائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ مُفْرَدَةٍ**» وسألته ﷺ هل يقوم منها طائر واحد على الحد المذكور في الحديث لكل صلاة، وهو الطائر الذي له سبعون ألف جناح إلى آخر الحديث، أم يقوم منها في كل مرة ستمائة ألف طائر على تلك الصفة، وثواب تسبيحهم للمصلي على النبي ﷺ؟ فقال ﷺ: «**يَقُومُ مِنْهَا فِي كُلِّ صَلَاةٍ سِتَّمَائَةِ أَلفِ أَلفِ طَائِرٍ عَلىَ تِلْكَ الصِّفَةِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَعَدَدُ أَلْسِنَةِ طَائِرٍ وَاحِدٍ**» كما قال الشيخ رضي الله تعالى عنه ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف لسان، إلى أن تعد ثمانية مراتب وستعمائة وثمانون ألف ألف ألف ألف ألف ألف لسان إلى أن تعد سبع مرات وسبعمائة ألف ألف ألف ألف ألف لسان، إلى أن تعد خمس مراتب فهذا مجموع عدد الألسنة، وكل لسان يسبح الله بسبعين لغة في كل لحظة، وثوابها للمصلي على النبي ﷺ، في كل مرة هذا في غير الياقوتة الفريدة.

وأما فيها فإنها يخلق من كل مرة ستمائة ألف طائر على الصفة المذكورة كما تقدم، ثم قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: فسألته ﷺ عن حديث إن الصلاة عليه ﷺ تعدل ثواب أربعمائة غزوة، وكل غزوة تعدل أربعمائة حجة هل صحيح أم لا؟ فقال ﷺ: «**صَحِيح**» فسألته ﷺ عن عدد هذه الغزوات هل يقوم من صلاة الفاتح لما أغلق

مرة أربعمائة غزوة، أم يقوم أربعمائة غزوة لكل صلاة من الستمائة ألف صلاة، وكل صلاة على انفرادها أربعمائة غزوة فقال ﷺ ما معناه إن صلاة الفاتح، لما أغلق بستمائة ألف صلاة، وكل صلاة من الستمائة ألف صلاة بأربعمائة غزوة، ثم قال بعده ﷺ: إنّ من صلّى بها أي بالفاتح لما أغلق الخ مرة واحدة، حصل له ثواب ما إذا صلى بكل صلاة وقعت في العالم من كل جن وأنس وملك بستمائة ألف صلاة، من أول الدهر إلى وقت تلفظ المصلي بها، أي كأنه صلى بكل صلاة ستمائة ألف صلاة من جميع صلوات المصلين عموماً، ملك وجن وأنس كلّ صلاة من ذلك بأربعمائة غزوة، وكل صلاة من ذلك بزوجة من الحور، وعشر حسنات، ومحو عشر سيئات، ورفع عشر درجات، وإن الله يصلّي عليه وملائكته بكل صلاة عشر مرات.

قال الشيخ رضي الله عنه وأرضاه وعنا به: فإذا تأملت هذا بقلبك علمت أن هذه الصلاة لا تقوم لها عبادة في مرة واحدة، فكيف من صلّى مرات ماذا له من الفضل عند الله تعالى، وهذا حاصل في كل مرة منها. ثم قال الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: وأخبرني ﷺ أنها لم تكن من تأليف البكري، ولكنه توجه إلى الله مدة طويلة أن يمنحه صلاة النبي ﷺ فيها ثواب جميع الصلوات، وسر جميع الصلوات، وطال طلبه مدة ثم أجاب الله تعالى دعوته فأتاه الملك بهذه الصلاة مكتوبة في صحيفة من النور، ثم قال الشيخ رضي الله عنه وأرضاه وعنا به: فلما تأملت هذه الصلاة، وجدتها لا تزنها عبادة جميع الإنس والجن والملائكة.

ثم قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: فكتب لذاكر الفاتح لما أغلق ستة آلاف مرة ذكر كل حيوان وجماد، وذكر الجمادات هو ذكرها للاسم القائم بها، لأن كل ذرة في الكون لها اسم قائم به، وأما الحيوانات فأذكارها، والمرة الواحدة من الفاتح، لما أغلق تعدل من كل ذكر، ومن كل تسبيح ومن كل استغفار، ومن كل دعاء في الكون صغيراً أو كبيراً ستة آلاف مرة، وهذا ما أخبر به سيد الوجود ﷺ، سيدنا رضي الله تعالى عنه من فضل صلاة الفاتح لما أغلق.

ثم قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: وخاصية الفاتح لما أغلق أمر إلهي، لا مدخل فيه للعقول، فلو قدرت مائة ألف أمة، في كل أمة ألف قبيلة، في كل قبيلة مائة ألف رجل، وعاش كل واحد منهم مائة ألف عام، يذكر كل واحد منهم في كل يوم مائة ألف صلاة على النبي ﷺ، من غير الفاتح، وجمعت ثواب هذه الأمم كلها في مدة السنين كلها في هذه الأذكار كلها، ما لحقوا كلهم ثواب مرة واحدة من صلاة الفاتح لما أغلق.

ثم قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: إعلم أنك إذا صليت بصلاة الفاتح لما أغلق مرة واحدة، كانت بستمائة ألف صلاة من كل صلاة وقعت في العالم من جميع الجن والإنس والملائكة، ثم إذا ذكرت الثانية كان فيها ما في الأولى وصارت الأولى بستمائة ألف صلاة من صلاة الفاتح لما أغلق، ثم إذا ذكرت الثالثة كان فيها ما في الأولى من الصلوات، ويزداد الفاتح لما أغلق ستمائة ألف مرتين، فهي اثنا عشر مائة ألف، ثم سرّ على هذا التضعيف إلى العشر، ثم إلى مائة وواحدة كان في الواحدة ما في الأولى وما قبلها، وفيها صلاة الفاتح لما أغلق ستمائة ألف متضاعفة مائة مرة وذلك ستون ألف ألف من الفاتح لما أغلق. وسر على هذا المنوال ألف وواحدة، فيكون فيها ما في الأولى من الألوف، وفيها ستمائة من الفاتح لما أغلق ألف مرة متضاعفة، وذلك ستمائة ألف ألف وهكذا على هذا المنوال وهذا الضابط.

فإذا ذكرها في وقت السحر يكون كل واحد منها بخمسمائة، فإذا ذكر ألفاً وواحدة، كان في الواحد بعد الألف ثلاثمائة ألف ألف ألف ثلاث مراتب، وأما في الألف وواحدة فيكون فيها مائة وخمسون ألف ألف ألف ألف أربع مراتب، وأربعمائة وخمسون ألف ألف ألف ثلاث مراتب، فهذا خاص بوقت السحر، وأما في غيره فهو ما ذكره أولاً من التضعيف السابق، ثم قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: قال رسول الله ﷺ: «**مَا صَلَّى عَلَيَّ أَحَدٌ بِأَفْضَلِ مِنْ صَلَاةِ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ**» وقال رضي الله تعالى عنه: لو اجتمع أهل السموات السبع وما فيهن، والأرضين السبع وما فيهن على أن يصفوا ثواب الفاتح لما أغلق، ما قدروا اهـ.

قلت: اعلم إني كنت عازماً على أن لا أذكر فضل هذه الصلاة، إلا ما في جواهر المعاني كما تقدم، ولما أتممت ما فيه منعتني الشفقة على الصادقين من أهل هذه الطريقة من ذلك، فأردت أن أزيد على ما في جواهر المعاني

شيئاً قليلاً من ثواب مرتبتها الظاهرة، ليزدادوا تمسكاً بها، وثباتاً عليها، ونشاطاً في ذكرها، رغبة فيها وفي أهلها وإعراضاً عن كل شيطان من الإنس والجن ومارد وجهول معاند جامد، يريد أن يصدّهم عن كل خير، ويوقعهم في كل شر وتمسك عن التوغل وعن ذكر فضل مرتبتها الباطنة، وعن باطن الباطن، لئلا يدّعي معرفة ذلك، والاذن فيه من ليس كذلك، على أن من ادعى ما ليس فيه كذبته شواهد الامتحان كما قيل:

من تحلى بغير ما هو فيه ... فضحته شواهد الامتحان

من ادّعى معرفة مراتبها، وكونه مأذوناً فيها، يطلب منه اظهار حقائقها، وتبيين مقاصدها، وإبداء أسرارها وكيفية ادراكها، وبمَ يدرك ثوابها، فإن بين كل المطلوب فهو كما قال، وإلا فهو دجال الدجاجلة مفتر كذاب هكذا هكذا وإلا فلا حظ طرق الجدّ غير طرق المزاح.

وإذا فهمت هذا فاعلم أن الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به قال: اعلم أنه ﷺ أمرني أن أفصح وأبيّن عن حكم المرتبتين الظاهرة والباطنة في صلاة الفاتح لما أغلق، وعن المرتبتين الظاهرة والباطنة في الفاتحة بنية الاسم الأعظم، فها أنا ممتثل أمره ﷺ فيما أمرني، ولكني أقدّم مقدمة قبل المقصود، تكون مهاداً له لاحتياج الناظر إليها إذ لا يفهم ما في المراتب الأربع، إلّا من عرف هذه المقدمة وهي: أن أرواح الموجودات كلها ناطقها وصامتها، ومتحركها وساكنها، حيوانها وجمادها، كلها بالنسبة إلى الله عزّ وجلّ على حد سواء، وإنما اختلفت خواصها في النطق والصمت، والحركة والسكون، والحيوانية والجمادية، بتخصيص إلهي صدر ذلك التخصيص عن المشيئة الإلهية، وهذا في الأرواح كلها، وإنما الاختلاف بينهما حاصل في الأجسام التي تلبسها الأرواح، لا في الأرواح لأن الأرواح كلها متحركة ناطقة حيوانية، عالمة عارفة عابدة لله تعالى ذاكرة دائمة أبداً سرمداً بلا فتور.

وهذا العلم كله غيب عن الإدراكات البشرية والجانية لا نعلمه، ولا يعلمه إلّا الصديقون والأقطاب والنبيون لا غير، ومن سواهم لا علم له به حتى الأولياء لا يعلمونه، ولا يعلمه إلّا من وصل إلى مقام الصديقية فقط.

ثم اعلم أن الأرواح في هذا على حد سواء، حتى أرواح البشر والجن والكفار، وأصحاب الحجاب من المؤمنين، فإن أرواحهم تنال هذا الأمر الذي ذكرناه، ولا يعلمونه من نفوسهم، لكنه مستور عنهم، فإنه أجمع أهل الكشف، على أن لكل فرد من الجن والإنس في الغيب ذاتاً نورانية، متصلة بذات الشخص بخيط من نور، وتلك الذات النورانية هي التي تعبد الله تعالى حق عبادته في الغيب، وتفعل ما تفعله الأرواح، لأجل أن الروح من الجن والإنس انحصرت في قارورة الجسم، وتلطخت بأوساخه، فانحجبت عن مطالعة الغيب، فصارت تلك الذات النورانية نائبة عنها في الغيب، تفعل ما تفعله جميع الأرواح.

لا علم لجميع الجن والإنس بهذا حتى علمائهم، وإنما يدركه أرباب الكشف والشهود وليس للجن والإنس انتفاع بهذه العبادة، لأن هذه الذوات لم تخلق إلا لعبادة الله عزّ وجلّ فقط، دون طمع. وبذلك يتحقق قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فتعالى الله أن يخلقها لعبادته فتخلف، ولكن طرأ على أرواح المكلفين وأجسامهم حكم القبضتين في الأزل، حيث قال في قبضة هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، وفي قبضة هؤلاء إلى النار ولا أبالي، وطرأ عليها حكم قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩] ولذلك خلقهم ولا معارض لله في حكمه، ولا منازع له في مراده، في كل ما أراد بخلقه.

وهذا موقف أصحاب الكشف بالغيب والعلماء بالله تعالى، ولا يستنكف عن هذا العلم وينكره إلّا ظاهري جامد على ظاهره، فهم في حجاب وسجن لا يُعبأ بقولهم ولا بانكارهم. قال ابن عطاء الله في الحكم الكائن في الكون، ولم تفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته، محصور في هيكل ذاته مسجون بمحيطات الأكوان. وقال ﷺ: «إِنَّ مِنَ العِلْمِ كَهَيْئَةِ المَخْزُونِ لَا يَعلَمُهُ إِلَّا العُلَمَاء بِاللَّهِ تَعَالَى فَإِذَا نَطَقُوا بِهِ لَا يُنكِرُهُ إِلَّا أَهلَ الغرَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى» وبما ذكرنا يتحقق قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤] وهذا التسبيح صريح لا ضمني كما يظنه أهل الظاهر، بل هو عند الصديقين كما ذكرنا، ثم اعلم أن الأرواح كلها لها القوة الإلهية، تجلى الله تعالى عليها بصفة كلامه، فكل روح في الكون، هي قادرة على النطق بجميع ألفاظ الأكوان كلها في لفظة واحدة، وكل الصديقين

يعلمون هذا ولا يجهلونه، ولا يجهله إلا أهل الظاهر لأنهم مسجونون في سجن العقل، فالروح والجسد عندهم مهما تكلم بكلمة انحجبت عن غيرها، حتى يفرغ من تلك الكلمة.

وعند أرباب الكشف أن الأرواح كلها قادرة على أن تذكر جميع ألفاظ الكون في كلمة واحدة، فتكون تتكلم في الكلمة الواحدة بأمور كثيرة متباينة، إلى غير نهاية، أدركوا هذا كشفاً وذوقاً، فإن الله تعالى هو الذي تجلى في الأرواح بذلك وأقدرها عليه، وليس ينكر هذا إلا من أنكر قدرة الله في الأمور الخارقة للعادة، وجعل غاية قدرة الله تعالى في الأمور العادية، فقط. وصاحب هذا العلم جاهل بالله تعالى أو كافر، وليس هذا المحل محل البحث في إيمانه وكفره، وكيف يتأتى لأجد أن يغفل عن قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨] **قلت**: وقول الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: ولا يستنكف عن العلم، ولا ينكره إلاّ ظاهري جامد على ظاهره وقوله، وليس ينكر هذا إلاّ من أنكر قدرة الله تعالى في الأمور الخارقة للعادة، إلى آخره قول حق وصدق، يعلمه كل من له قدم في الشريعة والحقيقة، قال في السراج المنير، وبيان التأويل واللفظ له عند قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤].

فإن قلت: الحجر جماد لا يعمل ولا يفهم، فكيف يخشى **قلت**: إن الله تعالى قادر على افهام الحجر والجماد، فتعقل وتخشى بإلهامه لها قال: ومذهب أهل السنة، أن لله علماً في الجمادات والحيوانات ولا يقف عليه غيره، فلها صلاة وتسبيح وخشية، يدل عليه قوله سبحانه وتعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده وقال تعالى: ﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [النور: ٤١] فيجب على المرء الإيمان به، ويكل علمه إلى الله تعالى اهـ.

وفي السراج روي أن النبي ﷺ كان بثبير والكفار يطلبونه، فقال الجبل: إنزل عني فإني أخاف أن تأخذ علي فيعاقبني الله تعالى بذلك. فقال له جبل حراء: إليّ يا رسول الله، ثم قال في اللباب روى مسلم، عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن**» وعن عليّ قال: كنت مع رسول الله ﷺ بمكة، فخرجنا إلى بعض نواحيها، فما استقبله شجر ولا جبل، إلا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله أخرجه الترمذي وقال: حديث غريب.

وروى البخاري عن جابر بن عبد الله قال: كان في مسجد رسول الله ﷺ جذع في قبلته، يقوم إليه رسول الله ﷺ في خطبته، فلما وضع المنبر سمعنا للجذع مثل أصوات العشار، حتى نزل رسول الله ﷺ، فوضع يده عليه، وفي رواية صاحب النخلة صياح الصبي يسكت حتى استقرت، قال: «**بكت على ما كانت تسمع من الذكر**».

قال مجاهد: ما ينزل حجر من أعلى إلى أسفل إلّا من خشية الله تعالى، وذلك يشهد لما قلنا اهـ.

وقال الشيخ أحمد بن المبارك في الإبريز وسمعته يعني القطب الشيخ عبد العزيز بن مسعود الدباغ رضي الله عنه، يقول في أحاديث تسبيح الحصا، وحنين الجذع، وتسليم الحجر، وسجود الشجر، ونحوها من معجزاته ﷺ أن ذلك هو كلامها وتسبيحها دائماً، وإنما سأل النبي ﷺ ربه أن يزيل الحجاب عن الحاضرين، حتى يسمعوا ذلك منها قال: فقلت له وهل فيها حياة وروح؟ فقال: لا قلت: قد أثبت لها الحياة صاحب مطالع المسرات عند قول الشيخ الجزولي وما سبح لك من شيء، فكل شيء يسبح لله تعالى وإن من شيء إلا يسبّح بحمده سبح لله ما في السموات، وهل هذا التسبيح بلسان الحال أو بلسان المقال.

اختلف في ذلك إلى أن قال: إن بعض المشايخ كان يقول إنه بلسان المقال، فيثبته زائداً على تسبيح الحال، وإلا فهو لا بدّ منه في كل شيء: وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد والتسبيح المقالي، إن كان عن كلام نفساني، فهو يستلزم الإدراك، والإدراك يستلزم الحياة، ولا بدّ إلا أنه إدراك خاص مشروط بحياة خاصة، لا يعرفها بغير بنية ولا مزاج ومن قاعدة أهل السنّة، أن البنية مشروطة للحياة، وأما مجرد اللفظ المشتمل على الحروف والأصوات، فهو يستلزم الحياة والإدراك عند الشيخ أبي الحسن الأشعري اهـ.

وقال الشيخ الأكبر ابن العربي الحاتمي رضي الله تعالى عنه: اعلم أن سرّ الحياة سري في الماء، فهو أصل العناصر والأركان، ولذلك جعل الله من الماء كل شيء حي، ما ثم إلا وحي فإنه ما من شيء إلّا وهو حي، فإنه ما من شيء إلّا وهو يسبح بحمد الله تعالى، فلا نفقه تسبيحه إلا بكشف إلهي ولا يسبح إلا حي، فكل شيء حي. وقال

أيضاً جعل الله تعالى صورة العالم تسبح بحمده، ولكن لا نفقة تسبيحهم، لأنّا لا نحيط بما في العالم من الصور، وفي شرحه لا يحيط عند الحجاب بما في العالم أي بشيء مما في العالم من الصور، إحاطة تؤدينا إلى فهم ما يجري على ألسنتها في مراتبها الحسية والمثالية والروحية.

وأما إذا منَّ الله سبحانه بالكشف عن تلك الصور بالاحاطة بها، فقد نعلم ألسنتها، ونفقه تسبيحها، قال الشيخ رضي الله تعالى عنه في آخر الباب الثاني عشر من الفتوحات المكية، المسمى بالجماد والنبات، عندنا لهم أرواح بطنت عن ادراك غير أهل الكشف إياها في العادة، فلا يحسّ بها مثل ما يحس بها الحيوان، فإن الكل عند أهل الكشف حيوان ناطق، غير أن هذا المزاج الخاص يسمى إنساناً لا غير، ونحن زدنا مع الإيمان بأخبار الكشف.

فقد سمعنا الأحجار تذكر الله تعالى بلسان طلق، تسمعه آذاننا منها، وتخاطبنا مخاطبة العارفين بجلال الله تعالى، بما ليس يدركه كل إنسان وقال في موضع آخر منه: وليس هذا التسبيح بلسان الحال كما يقوله أهل النظر، ممن لا كشف له. وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه في جواب السؤال الرابع والخمسين: فأما حديث الله تعالى في الصوامت، فهو عند العامة عن علماء الرسوم حديث حال، أي يفهم من حاله كذا وكذا حتى أنه لو نطق لنطق بما فهم هذا الفهم منه، قالت القوم في مثل هذا قالت الأرض للوتد لِمَ تشقني؟ قال الوتد لها سلي من يدقني.

فهذا عندهم حديث حال وعليه خرجوا قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤] وقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾ [الأحزاب: ٧٢] تلبية حال، وإما عند أهل الكشف فيسمعون نطق كل شيء من جماد ونبات وحيوان، يسمعه العاقل بأذنه في عالم الحس، لا في عالم الخيال، كما يسمع نطق المتكلم عن الناس اهـ.

ولنعد إلى كلام القطب عبد العزيز فنقول: ثم قال رضي الله عنه وأرضاه: ولكن المخلوقات كلها ناطقها وصامتها، إذا سئلت عن خالقها قالت: بلسان فصيح الله تعالى هو الذي خلقني فافتراق المخلوقات إلى ناطق وصامت، وحيوان وجماد بالنسبة إلى المخلوقات فيما يعرف بعضهم من بعض. وأما بالنسبة إلى الخالق سبحانه فالكل به عارف، وله عابد وخاشع وخاضع، فإن الجمادات لها وجهتان: وجهة إلى خالقها وهي فيها عالمة به عابدة له قانتة، ووجهة إلينا وهي فيها لا تعلم، ولا تسمع ولا تنطق، وهذه هي التي سأل النبي ﷺ ربه، أن يرفعها عن الحاضرين حتى تظهر له الوجهة الأخرى إلى الخالق سبحانه. وباعتبار وجهة الخالق قال تعالى: وإن من شيء إلا يسبح بحمده قال: ومن هذا المعنى أجابني عن حكاية سيدنا داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام مع الضفدع، لما استكثر السيد داود عليه السلام تسبيحه لربه عزَّ وجلَّ، فشاهد الضفدع المذكور يسبح طول عمره، ولا يفتر طرفة عين، فاستصغر سيدنا داود عليه السلام حالته التي كان استكثرها، فقال رضي الله تعالى عنه في الجواب: إن سيدنا داود عليه السلام شاهد من الضفدع حالته في الوجهة إلى الحق سبحانه، وهي حالة الباطن، فإن التسبيح فيها دائم لا فتور فيه، قال رضي الله تعالى عنه: إن للأرض علماً هي حاملته وعارفة به، كما يحمل أحدنا كتاب الله عزَّ وجلَّ ويعرفه، وكذا لكل مخلوق من الجمادات علم هو حامل له.

قال الشيخ أحمد بن المبارك فقلت: فتكون عاقلة عالمة، كيف وهي جماد؟ فقال رضي الله عنه، إنما كانت جماداً في أعيننا، وأما بالنسبة إلى خالقها سبحانه، فهي به عارفة وما خلا مخلوق، كان عن قوله الله ربي، فهي سارية في كل مخلوق، وما خلا مخلوق أي مخلوق كان عن الخضوع لخالقه سبحانه، والخوف منه والخشية له، والوجل من سطوته، والناس يظنون حيث وجدوا أنفسهم، جاهلين ما عليه الأرض وغيرها من الجمادات، أنهم يمشون على جماد ويجيئون ويذهبون على أموات. وذلك هو الذي أخلاهم وأهلكهم، ولو علم الناس ما عليه الأرض أمكن أحد أن يعصي الله عليها أبداً. قال: قال رضي الله تعالى عنه، وقد كنت قبل أن يفتح عليّ مع سيدي محمد اللهواج، وكان مفتوحاً عليه، وذكر أنهما مرا على عين تجري، قال: فأخذت السنارة، وجعلت فيها خبزاً، وأردت اصطياد الحوت لكثرته بتلك العين، فرميت السنارة فيها وبقرب عنصر الماء حجرة كبيرة، سمعتها تقول بالصياح: الله الله فما فرغت حتى صاح كل حجر هناك، ثم صاح كل حوت، وصاح الحوت الذي أكل الطعام الذي في السنارة، ومعنى ذلك الصياح الله الله أما تتقي الله يا من اشتغل بالاصطياد قال: قلت وهل سمعتم قولها الخارق

للعادة بلغة العرب، أم بلغة الجمادات، فقال رضي الله عنه بلغة الجمادات، ولها لغات وألسن تليق بذواتها، وسمعنا لها يكون بالذات كلها لا بالأذن الذي في الرأس فقط، ثم قال رضي الله عنه وكنت ذات يوم جالساً تحت زيتونة، فبينما أنا كذلك إذا بجميع الحجر صغيرة وكبيرة، والأشجار والأغصان تسبح الله بلغاتها، فكدت أهرب مما سمعت، وجعلت أنظر إلى بعض الأحجار فاستمع منها أصواتاً عديدة. فقلت حجر واحد وله أصوات عديدة، فتأملته فإذا هو معجون اجتمعت فيه عدة أحجار، فلذلك تعددت الأصوات فيه قلت: وقد حصل له هذا أوائل فتحه رضي الله عنه اهـ.

وقال في السراج المنير عند قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ [النحل: ٤٨] وكان الحسن يقول: أما ظلّك فيسجد لربك، وأما أنت فلا تسجد لربك، بئس ما صنعت. وعن مجاهد ظلّ الكافر يصلي وهو لا يصلي وقيل: ظل كل سيء يسجد لله تعالى، سواء كان ذلك ساجداً أم لا اهـ قال في لباب التأويل.

وقال مجاهد: إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله تعالى سواء كان ذلك الشيء يسجد لله تعالى أم لا ويقال إن ظل الكافر ساجد لله تعالى، وهو غير ساجد لله تعالى اهـ.

وقال صاحب اللباب والسراج واللفظ له عند قوله تعالى وإنْ من شيء إلّا يسبح بحمده، وقال إبراهيم النخعي: وإن من شيء جماد وحي، إلا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيق السقف. وقال مجاهد كل الأشياء تسبح الله تعالى حياً كان أو جماداً وتسبيحها سبحانه الله، وبحمده يدل على ذلك ما روي عن ابن مسعود كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفاً. كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقلّ الماء، فتفل ﷺ في الإناء، ثم قال: حي على الطهور المبارك، والبركة من الله تعالى، ولقد رأيت لماء ينبع من بين أصابعه ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام، وهو يؤكل.

قال في اللباب: أخرجه البخاري، وعن جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ بِمَكَّةَ حَجَراً يُسَلِّمُ عَلَيَّ لَيَالِي بُعِثْتُ إِنِّي لأَعْرِفُهُ الآنَ**». قال في اللباب أخرجه مسلم، وعن ابن عمر أنه ﷺ كان يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر نحواً إليه فحنّ الجذع فأتاه، فمسح يده عليه، وفي رواية فنزل فاحتضنه وساره بشيء، وفي اللباب أخرجه البخاري.

ففي هذه الأحاديث دليل على أن الجماد يتكلم، وأنه يسبح وقال بعض أهل المعاني: تسبيح السموات والأرض، والجمادات والحيوانات سوى العقلاء بلسان الحال، حيث تدل على الصانع وقدرته ولطيف حكمته، فكأنها تنطق بذلك، ويصير لها بمنزلة التسبيح. قال البغوي والقول الأول المنقول عن السلف، وقال ابن الخازن في لباب التأويل، والقول الأول هو الأصح لما دلت عليه الأحاديث، وأنه منقول عن السلف. قال البغوي: واعلم أن لله علماً في الجمادات لا يقف عليه غيره، فينبغي أن يوكل علمه إليه اهـ.

وفي لباب التأويل عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ [الحج: ١٨] والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب قيل: معنى سجودها الطاعة. فإنه ما من جماد إلا وهو مطيع لله، خاشع ومسبح له، كما وصفهم بالخشية والتسبيح وهذا مذهب أهل السنة اهـ.

وفي السراج المنير في هذا المحل روي عن عمر بن دينار قال: سمعت رجلاً يطوف بالبيت وهو يبكي فإذا هو طاوس فقال: أعجبت من بكائي قلت: نعم قال: ورب الكعبة إن هذا القمر يبكي من خشية الله ولا ذنب له اهـ. وفيه أيضاً عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [النور: ٤١].

روي أن أبا ثابت قال: كنت جالساً عند أبي جعفر الباقر فقال: أتدري ما تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها؟ قال: لا قال: فإنهن يقدسن الله ربهن، ويسألنه قوت يومهن.

قال بعض العلماء: إنا نشاهد من الطيور وسائر الحيوانات أعمالاً لطيفة، يعجز عنها كثير من العقلاء، فإذا كان كذلك، فلم لا يجوز أن يلهمها معرفته، ودعاءه، وتسبيحه، وبيانه، أنه تعالى ألهمها الأعمال اللطيفة من وجوه:

أحدها: أن الدب يرمي بالحجارة، ويأخذ العصا، ويرمي الإنسان، حتى يتوهم أنه مات فيتركه، وربما عاد ويشمه ويتجسس نفسه ويصعد الشجر أخف صعود ويهشم الجوز بين فكيه، تعريضاً بالواحدة وصدمة بالأخرى، ثم ينفخ فيه فيذر قشره، ويتغذى به. وعن الفأر في سرقته أمور عجيبة.

ثانيها: أمر النحل وما لها من الرئاسة والبيوت المهندسة، التي لا يتمكن من بنائها أفاضل المهندسين.

ثالثها: انتقال الكراكي من طرف من أطراف العالم، إلى الطرف الآخر، طالبة ما يوافقها من أهوية، ويقال من خواص الخيل أن كل واحد يعرف صوت الفرس الذي قاتله وقتاً ما، وفتح التماسيح أفواهها لطائر يقع عليها، يقال له القطقاط، وينظف ما بين أسنانها، وعلى رأس ذلك الطائر كالشوكة، فإذا همَّ لتمساح بالتقام ذلك الطائر، تأذى من تلك الشوكة، فيفتح فاه، فيخرج ذلك الطائر.

والسلحفاة تتناول بعد أكل الحية صعتراً جبلياً، ثم تعود، وقد عوفيت من ذلك. وحُكي عن بعض الثقاة المجربين للصيد، أنه شاهد الحباري تقاتل الأفعى، وتنهزم عنها إلى بقلة، تتناول منها، ثم تعود ولا تزال كذلك. وكان ذلك الشخص قاعداً في كن وكانت البقلة قريبة من مسكنه، فلما اشتغل الحباري بالأفعى، قلع البقلة فعادت الحباري إلى منبتها فلم تجدها، فأخذت تدور حول منبتها دوراناً متتابعاً حتى خرت ميتة، فعلم الشخص أنه يعالج بأكلها من اللسعة، وتلك البقلة هي الكركار البري.

وابن عرس يستظهر في مقاتلة الحية بأكل السراب، فالنكهة السرابية تنفر عنها الأفعى والكلاب، وإذا دودت بطونها، أكلت سنبل القمح، وإذا خرجت داوت الجراحة بالصعتر الجبلي.

رابعها: الفناقد قد تحسّ بالشمائل والجنوب قبل الهبوط، فتغير المدخل إلى حجرها. وكان رجل بالقسطنطينية قد أثرى بسبب أنه ينذر بالريح قبل هبوبها، وينفع الناس بإنذاره. وكان السبب فيه قنفذا في داره يفعل الصنيع المذكور، فيستدل به والخطاف صناع في اتخاذ العش من الطين، وقطع الخشب، فإن أعوزه الطين، ابتل وتمرغ في التراب، ليحمل جناحاه قدراً من الطين، وإذا فرغ بالغ في نهب الفراخ، ويأخذ ذرقتها بمناقره، ويرميها من العُش. والغرانيق تصعد في الجو عند الطيران، فإن حجب بعضها عن بعض سحاب أو ضباب أحدثت على أجنحتها خفقاً مسموعاً، يتبع به بعضاً، وإذا باتت على جبل، فإنها تضع رؤوسها تحت أجنحتها إلا القائد، فإنه ينام مكشوف الرأس، فيسرع انتباهه إذا سمع حساً صاح.

وحال النمل في الذهاب إلى مواضعها على خط المستقيم، يحفظ بعضها بعضاً أمر عجيب، وإذا كشف عن بيوتها الساتر الذي كان يسترها، وكان تحته بيض لها، فإن كل نملة تأخذ بيضة في فمها، وتذهب في أسرع وقت، والاستقصاء في هذا الباب مذكور في كتب طبائع الحيوان، والمقصود من ذلك أن الفضلاء من العقلاء، يعجزون عن أمثال تلك الحيل، وإذا كان كذلك، فلم لا يجوز أن يقال إنها تسبح الله تعالى وتثني عليه، وإن كانت غير عارفة بسائر الأمور التي يعرفها الناس، ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] وقوله ﷺ: «**إنَّ نُوحَاً أَوْصَىٰ ابْنَهُ عِنْدَ مَوتِهِ بلا إلَهَ إلا الله فَإنَ السَّمْوَاتِ السبع وَالأَرْضِينَ السّبع لَو كُنَّ فِي حَلَقَةٍ مُبْهَمَةٍ قَصَمَتْهُنَّ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فَإِنَّهَا صَلاةُ كُلِّ شَيْءٍ وَبِهَا يَرْزُقُ كُلَّ الخَلْقِ**» وقال الغزالي في الأحياء. رُوي أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: تولت عني الدنيا، وقلّت ذات يدي فقال رسول الله ﷺ: «**فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون**» قال: فقلت: وما هي: يا رسول الله قال: «**قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم مائة مرة ما بين طلوع الفجر إلى أن يفيء الصبح تأتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله عزَّ وجلَّ من كل كلمة ملكاً يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة لك ثوابه**» اهـ.

وفي لباب التأويل والسراج المنير عند قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ [النمل: ١٦] رُوي عن كعب الأحبار أنه قال: صاح ورشان عند سليمان عليه السلام فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا قال: يقول لا دواء للموت، وابنوا للخراب، وصاحت فاخته. فقال أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا قال: فإنها تقول يا ليت هذا الخلق، لم يُخلقوا، وصاح طاووس فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا قال: فإنه يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا قال: فإنه يقول من لا يرحم ولا يُرحم. وصاح صرد فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا قال: فإنه يقول كل حي ميت وكل جديد بال. وصاح خطاف فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا قال: فإنه يقول قدموا خيراً تجدوه وهدلت حمامة فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا قال: فإنها تقول سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه. وصاح قمري فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا قال: إنه يقول سبحان ربي الأعلى.

فالغراب يدعو على العشاء والحدأة تقول: كل شيء هالك إلا وجه الله. والقطاة تقول من سكت سلم، والببغاء

ثانيها: أمر النحل وما لها من الرئاسة والبيوت المهندسة، التي لا يتمكن من بنائها أفاضل المهندسين.

ثالثها: انتقال الكراكي من طرف من أطراف العالم، إلى الطرف الآخر، طالبة ما يوافقها من أهوية، ويقال من خواص الخيل أن كل واحد يعرف صوت الفرس الذي قاتله وقتاً ما، وفتح التماسيح أفواهها لطائر يقع عليها، يقال له القطقاط، وينظف ما بين أسنانها، وعلى رأس ذلك الطائر كالشوكة، فإذا همَّ لتمساح بالتقام ذلك الطائر، تأذى من تلك الشوكة، فيفتح فاه، فيخرج ذلك الطائر.

والسلحفاة تتناول بعد أكل الحية صعتراً جبلياً، ثم تعود، وقد عوفيت من ذلك. وحُكي عن بعض الثقاة المجربين للصيد، أنه شاهد الحباري تقاتل الأفعى، وتنهزم عنها إلى بقلة، تتناول منها، ثم تعود ولا تزال كذلك. وكان ذلك الشخص قاعداً في كن وكانت البقلة قريبة من مسكنه، فلما اشتغل الحباري بالأفعى، قلع البقلة فعادت الحباري إلى منبتها فلم تجدها، فأخذت تدور حول منبتها دوراناً متتابعاً حتى خرت ميتة، فعلم الشخص أنه يعالج بأكلها من اللسعة، وتلك البقلة هي الكركار البري.

وابن عرس يستظهر في مقاتلة الحية بأكل السراب، فالنكهة السرابية تنفر عنها الأفعى والكلاب، وإذا دودت بطونها، أكلت سنبل القمح، وإذا خرجت داوت الجراحة بالصعتر الجبلي.

رابعها: الفناقد قد تحسّ بالشمائل والجنوب قبل الهبوط، فتغير المدخل إلى حجرها. وكان رجل بالقسطنطينية قد أثرى بسبب أنه ينذر بالريح قبل هبوبها، وينفع الناس بإنذاره. وكان السبب فيه قنفذا في داره يفعل الصنيع المذكور، فيستدل به والخطاف صناع في اتخاذ العش من الطين، وقطع الخشب، فإن أعوزه الطين، ابتل وتمرغ في التراب، ليحمل جناحاه قدراً من الطين، وإذا فرغ بالغ في نهب الفراخ، ويأخذ ذرقتها بمناقره، ويرميها من العش. والغرانيق تصعد في الجو عند الطيران، فإن حجب بعضها عن بعض سحاب أو ضباب أحدثت على أجنحتها خفقاً مسموعاً، يتبع به بعضاً، وإذا باتت على جبل، فإنها تضع رؤوسها تحت أجنحتها إلا القائد، فإنه ينام مكشوف الرأس، فيسرع انتباهه إذا سمع حساً صاح.

وحال النمل في الذهاب إلى مواضعها على خط المستقيم، يحفظ بعضها بعضاً أمر عجيب، وإذا كشف عن بيوتها الساتر الذي كان يسترها، وكان تحته بيض لها، فإن كل نملة تأخذ بيضة في فمها، وتذهب في أسرع وقت، والاستقصاء في هذا الباب مذكور في كتب طبائع الحيوان، والمقصود من ذلك أن الفضلاء من العقلاء، يعجزون عن أمثال تلك الحيل، وإذا كان كذلك، فلم لا يجوز أن يقال إنها تسبح الله تعالى وتثني عليه، وإن كانت غير عارفة بسائر الأمور التي يعرفها الناس، ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] وقوله ﷺ: **«إنَّ نُوحاً أَوْصَى ابْنَهُ عِنْدَ مَوتِهِ بلا إِلَه إِلا الله فَإِن السَّمواتِ السبع وَالأَرْضِين السَّبع لَو كُنَّ في حَلَقَة مُبْهَمَة قَصَمَتْهُنَّ، وَسُبْحَانَ اللَّه وَبِحَمْدِهِ فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ وَبِهَا يَرْزُقُ كُلَّ الخَلْقِ»** وقال الغزالي في الأحياء. رُوي أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: تولت عني الدنيا، وقلّت ذات يدي فقال رسول الله ﷺ: **«فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون»** قال: فقلت: وما هي: يا رسول الله قال: **«قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم مائة مرة ما بين طلوع الفجر إلى أن يفيء الصبح تأتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله عزّ وجلّ من كل كلمة ملكاً يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة لك ثوابه»** اهـ.

وفي لباب التأويل والسراج المنير عند قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ [النمل: ١٦] رُوي عن كعب الأحبار أنه قال: صاح ورشان عند سليمان عليه السلام فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا قال: يقول لا دواء للموت، وابنوا للخراب، وصاحت فاختة. فقال أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا قال: فإنها تقول يا ليت هذا الخلق، لم يُخلقوا، وصاح طاووس فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا قال: فإنه يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا قال: فإنه يقول من لَا يرحم ولا يُرحم. وصاح صرد فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا قال: فإنه يقول كل حي ميت وكل جديد بال. وصاح خطاف فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا قال: فإنه يقول قدموا خيراً تجدوه وهدلت حمامة فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا قال: فإنها تقول سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه. وصاح قمري فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا قال: إنه يقول سبحان ربي الأعلى.

فالغراب يدعو على العشاء والحدأة تقول: كل شيء هالك إلا وجه الله. والقطاة تقول من سكت سلم، والببغاء

تقول: ويل لمن كانت الدنيا همه، والضفدع يقول: سبحان ربي القدوس، ويقول أيضاً المذكور بكل لسان، والبازي يقول سبحان ربي العظيم وبحمده. وعن مكحول قال: صاح دراج عند سليمان فقال: أتدرون ما يقول: قالوا: لا قال: فإنه يقول الرحمن على العرش استوى.

روى عن فرقد السنجي قال: مرّ سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه، ويميل ذنبه فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول هذا البلبل؟ قالوا: الله ونبيه اعلم؟ قال: يقول أكلت نصف تمرة، فعلى الدنيا العفاء وهو بالفتح والمدح التراب. وقال أبو عبيدة هو الدروس وفي حديث صفوان، إذا دخلت بيتي فأكلت رغيفاً، وشربت عليه ماء، فعلى الدنيا العفاء.

وروي أن جماعة من اليهود قالوا لابن عباس: إنا سائلوك عن سبعة أشياء، فإن أخبرتنا آمنا وصدقنا، قال: اسألوا تفقهاً، ولا تسألوا تعنتاً. قالوا: أخبرنا ما يقول القنبر في صفيره، والديك في صعيقه، والضفدع في نقيقه، والحمار في نهيقه، والفرس في صهيله، وما يقوله الزرزور والدراج؟ قال: نعم أما القنبر فيقول: اللهم العن مُبغضي محمد وآل محمد، وأما الديك فيقول: أذكروا الله يا غافلين، وأما الضفدع فيقول: سبحان الله المعبود في لجج البحر، وأما الحمار فيقول: اللهم العن العشار، وأما الفرس فيقول: إذ التقى الصفان، سبوح قدوس رب الملائكة والروح، وأما الزرزور فيقول: اللهم إني أسألك قوت يوم يا رزاق، وأما الدراج فيقول: الرحمن على العرش استوى، قال: فأسلم اليهود وحسن إسلامهم.

ويروى عن جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه عن جده، عن الحس بن علي قال: إذا صاح النسر قال: يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت. وإذا صاح العقاب قال في البعد من الناس أنس، وإذا صاح القنبر قال: إلهي العن مبغضي آل محمد وإذا صاح الخطاف قرأ الحمد لله رب العالمين ويمد ولا الضالين، كما يمد القارئ اهـ.

قلت: ويكفي في الرد على المنكر قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨] الآية حتى أثبت لها أهل المعاني أنواعاً من البلاغة في هذا الكلام الموجز، حيث نادت، ونبهت، وسمعت، وأمرت، ونصحت، وحذرت، وخصت، وعمت، وأشارت وأعذرت، ووجهت ونادت، يا نبهت ها سمت النمل أمرت، أدخلوا نصحت مساكنكم، حذرت لا يحطمنكم، خصت سليمان عممت جنوده أشارت، وهم أعذرت لا يشعرون، ولما كان هذا أمراً معجباً، لما فيه من جزالة الألفاظ، وجلالة المعاني تسبب عنه قوله، فتبسم ضاحكاً من قولها أي لما أوتيته من الفصاحة والبيان، وسروراً بما وصفته من العدل في أنه هو وجنوده، لا يؤذون أحداً، وهم يعلمون، وبما آتاه الله من سمعه كلام النملة وإحاطته اهـ انظر السراج المنير، وفي لباب التأويل والسراج المنير، واللفظ عند قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ [النمل: ٢٠] وكان سبب غيبة الهدهد على ما ذكر العلماء، أن سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس، عزم على الخروج إلى أرض الحرم، فتجهَّز للمسير، واستصحب من الجن والإنس والشياطين والطير والوحش، ما بلغ معسكره مائة فرسخ، فحملتهم الريح، فلما وافى الحرم، أقام به ما شاء الله أن يقيم، وكان ينحر في كل يوم مدة مقامه بمكة خمسة آلاف ناقة، ويذبح خمس آلاف بقرة، وعشرين ألف شاة. وقال لمن حضره من أشراف قومه، إن هذا المكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا، ويُعطى النصر على جميع من ناوأه، وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سواء، لا تأخذه في الله لومة لائم.

قالوا فبأي دين يدين يا نبي الله؟ قال بدين الحنيفية، فطوبى لمن أدركه وآمن به. قالوا: فكم بيننا وبين خروجه يا نبي الله؟ قال: مقدار ألف عام. فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فإنه سيد الأنبياء وخاتم الرسل.

وأقام بمكة حتى قضى نسكه، ثم خرج منها صباحاً، وسار نحو اليمن، فوافى صنعاء وقت الزوال، وذلك مسيرة شهر، فرأى أرضاً حسناء، تزهو خضرتها، فأحبّ النزول ليصلي ويتغذى، فلما نزل قال الهدهد: إن سليمان قد اشتغل بالنزول، فارتفع نحو السماء، فنظر إلى طول الدنيا وعرضها يميناً وشمالاً، فرأى بستاناً لبلقيس، فمال إلى الخضرة، فوقع فيه، فإذا هو بهدهد من هداهد اليمن، فهبط عليه، وكان اسم هدهد سليمان يعفور.

فقال هدهد اليمن ليعفور: من أين أقبلت؟ وأين تريد؟ قال: أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود عليهما السلام، فقال: ومن سليمان؟ قال مالك الجن والإنس والشياطين، والطير والوحش والرياح، وذكر له من

عظمة ملك سليمان، وما سخر الله له من كل شيء، فمن أين أنت؟ فقال له الهدهد الآخر: أنا من هذه البلاد، ووصف له ملك بلقيس، وإن تحت يدها اثنا عشر ألف قائد، مع كل قائد مائة ألف مقاتل، ثم قال: فهل أنت منطلق معي حتى تنظر إلى ملكها؟ قال: أخاف أن يتفقدني سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء، فقال الهدهد الثاني: إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة، فانطلق معه، ونظر إلى ملك بلقيس، وما رجع إلى سليمان إلّا بعد العصر وكان سليمان قد نزل على غير ماء.

قال ابن عباس: وكان الهدهد دليل سليمان على الماء، وكان يعرف الماء، ويرى الماء تحت الأرض كما يرى في الزجاجة، ويعرف قربه وبعده فينقر الأرض، ثم تجيء الشياطين، فيسلخونها كما يسلخ الأهاب، ويستخرجون الماء إلى أن قال: فلما دخل على سليمان وقت الصلاة، سأل الإنس والجن والشياطين عن الماء، فلم يعلموه، فتفقد الهدهد فلم يجده، فدعا عريف الطير وهو النسر، فسأله عن الهدهد فقال: أصلح الله تعالى الملك ما أدري أين هو، ولا أرسلته إلى مكان، فغضب سليمان عند ذلك، وقال: لأعذبنه عذاباً شديداً، أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين، إلى أن قال، ثم دعا بالعقاب سيد الطير، فقال له: عليّ بالهدهد الساعة، فرفع العقاب نفسه دون السماء حتى التزق بالهواء، فنظر إلى الدنيا كالقطعة في يد الرجل، ثم التفت يميناً وشمالاً، فإذا هو بالهدهد مقبلاً من نحو اليمن، فانقض عليه العقاب يريده.

فلما رأى الهدهد ذلك علم أن العقاب يقصده بسوء، ناشده وقال: أسألك بحق الذي قواك وأقدرك عليّ إلا ما رحمتني ولم تتعرض لي بسوء، فتركه ثم قال: ويلك ثكلتك أمك، إن نبي الله حلف ليعذبنك، أو يذبحنك فقال: أو ما استثنى نبي الله قال: بلى قال: أو ليأتيني بسلطان مبين قال الهدهد: قد نجوت إذاً، ثم طارا متوجهين نحو سليمان، فلما انتهيا إلى المعسكر تلقاه النسر والطير، فقالا له: أين غبت في يومك هذا؟ فلقد توعدك نبي الله، وأخبروه بما قال: فقال الهدهد: أو ما استثنى نبي الله عليه الصلاة والسلام قالا: بلى. وقال: أو ليأتيني بسلطان مبين، قال: فنجوت إذاً. ثم طار الهدهد والعقاب حتى أتيا سليمان، وكان قاعداً على كرسيه، فقال العقاب: قد أتيتك به يا نبي الله، ثم قال: فلما قرّب منه الهدهد أرخى ذنبه وجناحيه؛ يجرهما على الأرض تواضعاً لسليمان، فلما دنا منه أخذ برأسه، فمدّه إليه وقال: أين كنت؟ لأعذبنك عذاباً شديداً فقال له الهدهد: يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى. فلما سمع سليمان ذلك منه، ارتعد وعفا عنه، ثم سأله ما الذي أبطأك عني؟ اهـ.

ثم قال في السراج فقال: أحطت أي علماً بما لم تحط به، وجئتك أي الآن من سبأ بنبأ أي خبر يقين، أي محقق فقال سليمان: وما ذاك؟ قال: إني وجدت امرأة تملكهم، وأُوتيت من كل شيء، ولها عرش عظيم.

ولما كان الهدهد في خدمة أقرب أهل ذلك الزمان إلى الله تعالى، فحصل له من النورانية ما حصل له قال مستأنفاً معجباً وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله، وزيّن لهم الشيطان أعمالهم، ثم تسبّب عن ذلك ضلالهم، فهم لا يهتدون. ألا يسجدو لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض، ويعلم ما تخفون وما تعلنون، الله لا إله إلا هو ربّ العرش العظيم فإن قيل من أين للهدهد التهدّي إلى معرفة الله تعالى، ووجوب السجود له، وانكاره سجودهم للشمس، وإضافته إلى الشيطان، وتزيينه، أجيب: بأنه لا يبعد أن يلهمه الله تعالى ذلك، كما ألهم غيره من الطيور، وسائر الحيوانات المعارف اللطيفة، التي لا تكاد ذوي العقول الراجحة يهتدون لها، خصوصاً في زمن نبي سُخّرت له الطيور وعلم منطقها، وجعل ذلك معجزة له ثم قال: ولما فرغ الهدهد من كلامه قال سليمان: سننظر أصدقت فيه فتعذرك، أم كنت من الكاذبين. اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم قال: إذا ألقيته إليهم تول أي تنحَ عنهم إلى مكان تسمع فيه كلامهم، ولا يصلون معه إليك، فانظر ماذا يرجعون أي يريدون من الجواب اهـ.

ثم قال في اللباب والسراج واللفظ له، فأخذ الهدهد الكتاب وأتى به إلى بلقيس، وكانت بأرض يقال لها: مأرب من صنعاء على ثلاثة أيام، قال قتادة: فوافاها في قصرها، وقد غلقت الأبواب، وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب، وأخذت المفاتيح فوضعتها تحت رأسها. فأتاها الهدهد وهي نائمة مستلقية على قفاها، فألقى الكتاب على نحرها، وقيل: نقرها فانتبهت فزعة.

وقال مقاتل حمل الهدهد الكتاب بمنقاره، حتى وقف على رأس المرأة وحولها القادة والجنود، فرفرف ساعة والناس ينظرون إليه، حتى رفعت المرأة رأسها. فألقى الكتاب في حجرها وقال وهب بن منبه، وابن زيد: كانت لها

كوة مستقبلة الشمس، . تقع الشمس فيها حين تطلع، فإذا نظرت إليها سجدت لها، فجاء الهدهد إلى الكوة؛ فسدّها بجناحيه، فارتفعت الشمس، ولم تعلم بها فلما استبطأت الشمس قامت تنظر إليها، فرمى بالصحيفة إليها، فأخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة اهـ.

ثم قال صاحب الإبريز: وشربت ماء كذا وكذا وبقي في خاطري كذا فيجيبه الآخر بمثل ذلك ويتحدثان بما شاء الله تعالى، وفي كلامها تقطيع وتقدير بمنزلة الحروف والمخارج في كلامنا، ولكن ذلك محجوب عنا، وكذا كلام سائر الحيوانات والأشجار والأحجار، كما أنه حجب عنها سماع كلامنا بمخارجه وحروفه المقطعة، بل لا يسمعون منه إلّا صياحاً وأصواتاً.

وأما من فتح الله عليه فإنه يسمع كلامها، ويفهم معناه، ويعرف التقطيعات التي فيه وفهمه له بالروح تعرف المقاصد والأغراض قبل النطق بها، وما دمت لم ترَ مفتوحاً عليه من العجم، ومفتوحاً عليه من العرب، وهما يتحدثان سائر يومهما، يتكلم هذا بعجميته ويجيبه الآخر بعربيته، فإنك لم ترَ شيئاً قال: وسمعته رضي الله تعالى عنه يقول: كم مرة أذهب لأقضي حاجتي في بيت الوضوء، فأرجع من غير قضائها، لما أسمع من ذكر الماء لاسم الجلالة اهـ.

ومما يؤيد كلام الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به، قول الشيخ الورتجيني في عرائي البيان عند قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] إن الله سبحانه أوجد الخلق بقدرته القديمة الأزلية، والمشيئة السابقة، والإرادة القائمة بذاته وعلمه وحكمته، فخرج الكون من العدم، بما ظهر عليها من صفات القدم، فباشر أنوار قدرته الوجود، فأثرت قدرته، ومباشرتها في الأشياء الأرواح الحضرتية، والعقول الربانية، والألسنة الحيارية، والمعرفة الأبدية، ورفع الحجاب من بينها وبين معادن القدرة ومصادر الفعل، فشاهدت أشياء مصادرها، فاهتزت أرواحها بنعت عشقها إلى معادها، وتكلمت ألسنتها بقدس خالقها، وتقديس بارئها، وتسبيح صانعها، وذلك من حياة ناقصة شائعة من تأثير الحياة الأزلية، فالكل في حياتها قائمة بتلك الحياة مسبحة لصانعها بتلك الألسنة، وذلك من استيلاء غواشي أنوار القدرة، وسبحات العظمة عليها، فالسموات تسبّح له بلسان العظمة، والأرض تسبح له بلسان القدرة، ومن فيهن يسبح له من ذوات الأرواح، والحياة بألسنة الصفات والأفعال على قدر مراتبهم، وجميع الأشياء تسبّح له الناميات والجمادات بالظاهر، من قول أهل الرسوم، لا من قول أهل المعرفة، تسبّح له بلسان الأوصاف والأسماء والنعوت، والعارفون به من بينهم يسبّحون له بالألسنة الذاتية، لأنهم في شروق شموس الأزل، وأنوار طلوع أقمار الآباد، ولكن لا يعرف تسبيح الجميع إلّا من تجلّي الحق لسره وروحه، وعقله وقلبه وصورته بجميع الذات والصفات، والأشياء الغيبية روحانية ملكوتية، تسبّح الحق بها بلغات غيبية، وإشارات أزلية، ولا يسمعها إلّا أهل شهود الغيب، الذين ينطقون بالحق، ويسمعون بالحق، ويعقلون بالحق، ويعرفون الحق بالحق، وينظرون بالحق إلى الحق، وتصديق ما ذكرنا في تسبيح الجمادات.

ما روى أنس بن مالك قال: كنا عند رسول الله ﷺ فأخذ كفاً من حصى فسبّحن في يد رسول الله ﷺ حتى سمعنا التسبيح، ثم صبهن في يد أبي بكر، فسبّحن في يده حتى سمعنا التسبيح، ثم صبهّن في يد عمر، فسبحن حتى سمعنا التسبيح، ثم صبهّن في أيدينا، فما سبحن في أيدينا.

والدليل على صدق هذا الحديث قوله تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠] أي سبحي معه. ومعروف أن الجبال تسبّحن بتسبيح داود عليه السلام.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: مرض رسول الله ﷺ فأتاه جبريل عليه السلام بطبق فيه رمان وعنب، فأكل النبي ﷺ، فسبحن، ثم دخل الحسن والحسين فتناولا منه، فسبح العنب والرمان ثم دخل علي رضي الله تعالى عنه، فتناول منه فسبّح أيضاً، ثم دخل رجل من أصحابه فتناول فلم يسبحن. فقال جبريل: إنما يأكل هذا نبي أو ولد نبي، وأصدق التصديق قوله سبحانه في آخر الآية: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤] ومن حلمه وغفرانه، أنه عرف المخلوقات كلها نفسه بصفاته القديمة الأزلية، ولولا حلمه وغفرانه ما كان الكون، ولم يكن لسان يذكره، ولكن بكرمه ورحمته، وهب للكل من سلطانه وبرهانه لساناً يسبح بحمده شامل لكل ذرة، وثناؤه في لسان كل ذرة سبحانه الغني المحسن، وهب عطاءه العميم، والكرم القديم بغير استحقاق من الكون، ولا يبالي.

قال أبو عثمان المغربي: المكونات كلها يسبحن الله باختلاف اللغات، ولكن لا يسمع تسبيحها، ولا يفقه عنها ذلك إلا العلماء الربانيون، الذين فتحت أسماع قلوبهم اهـ، قلت: ويكفي في هذه المسألة قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فصلت: ٢١] **قلت**: وإذا تقرر هذا واتضح، ظهر صحة كلام الشيخ ظهوراً لا غبار عليه، وتبين جهل من لعله قد يعترض عليه، فلنرجع إلى ما كنا بصدده فنقول، ثم قال الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: فإذا عرفت هذا، فاعلم أن أرواح جميع الموجودات فرداً فرداً، من كل ما سوّى الله تعالى في كل لمحة من الزمان، مستغلة بأمور لا تنفك عنها حتى طرفة عين، وتلك الأمور هي صلاة الفاتح لما أغلق وفاتحة الكتاب وجميع القرآن، والاسم الذي خلقها به، والاسم الأعظم الكبير، والتسبيح الخاص بها، وقولنا الاسم الذي خلقها به، إذ لكل روح اسم من اسماء الله تعالى خلقها به، وقوامها لا تشترك روحان فكثر في اسم واحد، فهي في كل مقدار طرفة عين، تذكر هذه الأمور بتمامه.

وإذا عرفت هذا عرفت ما نذكره بعد هذا، وهذا أوان الشروع في المقصود، فسلّم الأمور ولا تنكر فإذا أخذناه من وجهه لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه، بل هو في تحقيقه ووضوحه، أشدّ وضوحاً من الشمس في وقت الظهيرة صيفاً. أما المرتبة الظاهرة في الفات لما أغلق، مهما قرأها أحد بشرطها، كتب الله له فيها أن يأخذ جميع تلك الأذكار، من تسبيح وتهليل وتكبير وتحميد واستغفار وصلاة عليه ﷺ قراءة القرآن، وغيره من الكتب الإلهية كلها، مثل التوراة والإنجيل مثلاً من أول منشأ العالم إلى بروز تلك الصلاة من الذاكر، وتجمع تلك الجمعية المذكورة وتتضاعف ستة آلاف مرة، ثم تحسب ألسنة جميع المخلوقات من كل ما سوّى الله تعالى، وتتضاعف فيها تلك الجمعية بعد مضاعفتها ستة آلاف مرة، تتضاعف أيضاً على عدد لسن جميع العوالم، من كل ما سوّى الله تعالى، ثم تتضاعف مضاعفة ثالثة على قدر مرتبة كل لسان، فإن من الألسن من ليس له من ذكره إلا مرة واحدة من كل لفظ.

وفيهم من له التضاعف مائة مرة كل كلمة من كل ذكر، وفيهم من له عشرة آلاف، وفيهم من له ألف ألف إلى عشرة آلاف ألف، إلى مائة ألف ألف إلى ألف ألف ألف، إلى ما وراء ذلك مما يكثر ذكره، ثم تحسب كل لفظة على حدتها بعد التضاعف المذكور.

ويجري القانون في ثوابها على قدر ما ذكر في اسم الشرع، من كون كل صلاة عليه ﷺ خواصها في الشرع، كل صلاة بحوراء وقصر في الجنة، وعشر درجات وعشر حسنات ومحو عشر سيئات، والطائر الذي يقوم منها على صورة ما ذكر في الحديث، يسبّح الله تعالى إلى يوم القيامة، وثوابه للمصلي وعشر صلوات من الله تعالى، ومن جميع الملائكة، وهذه الصلوات من الله تعالى في غير التي تأتي في المرتبة الباطنة، فإن تلك ليست هذه وكل صلاة أيضاً يخلق منها ملك، ينغمس في بحر الحياة، ثم يخرج فينتفض، فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقطر منه، ملكاً يستغفر المصلّي إلى يوم القيامة، ثم في كل صلاة ثواب أربعمائة غزوة وثواب أربعمائة حجة مقبولة.

وأما كل تسبيحة وتحميدة وتهليلة فكلها فيها ثواب القرآن، وأما ثواب القرآن في هذا فهو غير ما عند أهل الظاهر، فثواب القرآن في هذا أنه لو اجتمعت الأذكار من كل روح في العالم فرداً فرداً، من أي ذكر كان، وجميع اسماء الله تعالى الظاهرة والباطنة، وجميع الحسنات من جميع الموجودات في العالم فرداً فرداً، وجميع العبادات في العالم من جميع الأرواح في جميع العالم فرداً فرداً، وجمعت هذا الثواب الذي ذكرناه كله، لم يعادل ثواب حرف من القرآن، وهذا في غير الفاتحة.

وأما الفاتحة فثوابها ثواب ختمة من القرآن في كل مرة، وفيها أيضاً في كل مرة منها من الحور والصقور ألف ألف حوراء، يعني ألف ألف أخرى، ثم ألف ألف وستمائة ألف وسبعة آلاف وكسر هذا العدد فيها، كله كامل من الحور والأبكار، ومثله من القصور، وفيها ثواب قيام ليلة القدر كاملاً، وفيها أيضاً أكثر ما سبّح به ربنا في جميع كورة العالم، من جميع الأذكار كلها، وجميع القرآن من كل تالٍ ومن كل روح، من كل ما سوّى الله تعالى، وهذا كله في الفاتحة من كل قارئ لها، والأذكار المحسوبة في كروة العالم من كل روح من أول منشأ العالم، إلى وقت بروز صلاة الفاتح لما أغلق من ذاكرها.

وهذا الذي ذكر في الفاتحة بعد مضاعفها بالمضاعفات الثلاثة، التي تقدّمت، وكل سلكة في القرآن من كل قارئ من منشأ العالم إلى وقت بروز الصلاة بالفاتح لما أغلق من ذاكرها، تتضاعف أيضاً تلك السلكة من القرآن، من

محل كان إلّا ألبسه الله تعالى روحاً جديدة، تذكر الله تعالى بتلك الأذكار التي قدمناها وكذا آثار الأقدام والمشي، وكذا آثار العيدان في الجدران والتراب، إذا حركتها الرياح كل فرد من ذلك له روح، حيث انطمست تلك الأجسام بموت أو هلاك، بقيت أرواحها إلى الأبد، لا تفنى بفنائها، فانظر في هذا كم في الأشجار من أوراق متجددة في كل عام، وحبوب متجددة في كل عام، بل كل ما يصوّر الخلق من الأواني عوداً ومعدناً نحاساً وغيره، أو طيناً أو آجراً أو زليجاً أو دوراً أو جدراناً، كل شيء من ذلك له روح حكمها حكم ما تقدم ذكره، باقية إلى الأبد يموت جسدها وهدمه، وهذا كله من منشأ العالم إلى الأبد منسحب عليه هذا الحكم، ثم كل تلك الجمعية العظمى، التي تقدمت في أول المرتبة الظاهرة، تتضاعف على هذه السنة في جميع العوالم، ثم في ستة آلاف أخرى، ثم في مراتب الذاكرين كما قدمنا، فإن مرتبة النبي إذا ذكر تلك الجمعية كلها كل كلمة منه، لا يقدّر قدرها في الثواب، ولا يحصى ثوابها من كل من كان من الأنبياء، له لسان واحد ومن كل من كان قطباً، فإن كان قطب من الأنبياء والصديقين له ثلاثمائة لسان، وستة وستون لساناً، وغير القطب له لسان واحد، وانظر الملائكة العالمين في عددهم، وهم لا يحصى عددهم فإن السموات السبع والأرضين السبع مملوءة بالملائكة.

وإن أضيف إلى ملائكة الكواكب الثابتة، كان نزراً قليلاً وكذا نسبة ملائكة الفلك الثامن إلى الأطلس على هذا المهيع، وكذا الفلك الأطلس مع الكرسي على هذا المهيع، والكرسي مع العرش على هذا المهيع، وإن حول العرش ستمائة ألف سرادق، والسرادق هو الصور بعد ما بين كل سرادق وسرادق قدر مسافة السموات والأرض، وذلك ثلاثة عشر ألفاً وخمسمائة سنة، وكلها مملوءة بالملائكة، ومن وراء السرادقات مائة ألف صف وسبعون ألف صف من الملائكة، وكل هذه الملائكة في ملائكة الصور نزر قليل، ثم من وراء العرش سبعون حجاباً محيطة به كإحاطة بيضة النعام، غلظ كل حجاب سبعون ألف عام سيراً سعة كل ما بين حجاب وحجاب مسيرة سبعين ألف عام هواء.

وكل ذلك الهواء مملوء بالملائكة، لا تجد فيها قدر الأنملة فارغة، وبين الحجاب الأول والعرش سبعون ألف عام هواء، كله مملوء بالملائكة، ومن وراء العرش حجاب عالم الرقا، وكل حجب حجاب فوق حجاب مثل الحجب التي فوق العرش، حتى قال الشيخ العارف بالله سيدي إبراهيم المتبولي: إن كشفه انتهى إلى مشاهدة سبعمائة حجاب وراء العرش، يعني مثل الحجب السبعين في القدر والسعة، ثم عالم الرقا كله حجب مثل ما تقدم في السبعين حجاباً إلى الطوق الأخضر المحيط بكرة العالم وراء الطوق الأخضر حجب كثيرة، وبين كل حجاب وحجاب سبعون ألف سنة، كلها مملوءة بالملائكة وكل ملائكة الحجب من العرش إلى الطوق الأخضر إلى ما وراءه، كلهم عالون، ومرتبة كل ملك العالين كمرتبة النبي أو أقل بكثير، أو تقرب منه. ولكل ملك من العالين سبعون لساناً، فإذا زدت تلك الجمعية المتقدمة على كل لسان من ألسنة الملائكة العالين على كثرتهم، إلى غير نهاية كم يكون ثوابه؟ وهذا في كل مرة من الفاتح لما أغلق الحاق.

ثم من جملة ما تتلوه الأرواح ولا تفنى عنه دعاء يا من أظهر الجميل من أول العالم إلى الأبد، ثم التسبيح الذي يقدّس الله تعالى به نفسه دائماً تذكره الأرواح لا تفتر عنه. فأما يا من أظهر الجميل فذكر في الحديث أن الله تعالى يعطي لذاكره في كل مرة ثواب جميع الخلائق، وهو عام لجميع الخلق في العوالم كلها، من كل عابد وذاكر، فإذا كانت الأرواح تذكره من حين خلقت لى الأبد، ثم أخذت جمعية ذلك من كل روح وجماد، وضوعف بالمضاعفات الثلاثة المتقدمة، كم يبلغ ثوابه، ومثله التسبيح الذي يقدّس الله تعالى به نفسه دائماً تذكره الأرواح، لا تفتر عنه.

وذكر في الحديث أن ثوابه في كل مرة أن يعطيه الله تعالى عبادة أهل السموات والأرض، فإذا جمعت أذكار الأرواح بها كلها من حين أنشأ الله تعالى العالم إلى الأبد، وضوعف بالمضاعفات الثلاثة، كم يبلغ ثوابه؟ وفي هذين الذكرين يا من أظهر الجميل والتسبيح الذي يقدّس الله تعالى به نفسه، يستغرق في جميع الثواب حتى ثواب الأنبياء والأقطاب، والصديقين من غير ما يذكرونه بالاسم، فلا مدخل له فيه، والباقي من الثواب كله داخل، ويدخل فيه ثواب أعمال قلوبهم، فإن ثواب عمل الصديق باعطاء حقوق التجليات أدباً ووظائف، لو أضيف أعمال الجن والإنس، وكثير من العالم من منشأ العالم إلى قيام الساعة، ما بلغت من عمل الصديق مقدار طرفة عين.

وجميع الصديقين لا يبلغ ثوابهم ثواب قطب واحد، وجميع الأقطاب من غير الأنبياء لا يبلغ ثوابهم ثواب نبي واحد من أعمال القلوب، وهو حاصل لكل ذكر في هذين الذكرين.

فاعتبرهما في هذه الجمعية مع المضاعفات الثلاث كم تبلغ، ثم اعتبر أعمال جميع الملائكة العالين وثوابها، من حين أنشأ الله تعالى العالم إلى النفخ في الصور، وهو داخل في ثواب يا من أظهر الجميل، واعتبر بقدر الجمعية التي تذكره جميع المخلوقات لا تفتر عنه، من حين أنشأ الله تعالى العالم إلى الوقت التي ذكرت فيه صلاة الفاتح، اعتبر جمعيته بالمضاعفات الثلاث من كل ملك عالٍ، وانظر كم بلغ ثوابه انتهى.

ما أردنا ذكره من المرتبة الظاهرة في الفاتح لما أغلق، واعلم أن ما ذكرناه من فضل مرتبتها الظاهرة، بالنسبة لما نذكره منها كنقطة من بحر، ثم اعلم أن غير ما ذكرناه فيها لا ينال إلا بما هو معلوم عند أهله، وذلك لا يكتب في كتاب ولا يكاد يذكر الخواص خواص الخواص، فضلاً عن أنه يذكر للعوام.

وأما في مرتبتها الباطنة فلا تذكر شيئاً منه في هذا الكتاب المبارك ولو بالإشارة، وفي وقت آخر يفعل الله تعالى ما يريد وأما فضل الهيللة فمعلوم مشهور في هذه الملّة المحمدية، كما جاء في الكتاب والسنة. أما الكتاب فقد قال تعالى لسر خليقته وأفضل بريئته ﷺ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] وقال في ذم أهل النار: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥] وأما السنة فقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة.

روى مالك بن أنس عن طلحة بن عبيد الله أن رسول الله ﷺ قال: «أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَا اللَّهُ» وروى ابن مسعود الديلمي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَا اللَّهُ وَمَدَّهَا هُدِمَتْ لَهُ أَرْبَعَةُ آلافِ ذَنْبٍ مِنَ الكَبَائِرِ» وروى أبو منصور الديلمي أيضاً عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال رسول الله ﷺ: «ثَمَنُ الجَنَّةِ لَا إِلَهَ إِلَا اللَّهُ، وَثَمَنُ النِّعْمَةِ الحَمْدُ لله».

وروى صاحب الفردوس من غير إسناد، عن أم هانئ رضي الله تعالى عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «لَا إِلَهَ إِلَا الله لَا يَسْبِقُهَا عَمَلٌ وَلَا تَتْرُكُ ذَنْباً» وروى الموصلي، وأبو منصور الديلمي، عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا إِلَهَ إِلَا الله تَمْنَعُ العِبَادَ مِنْ سَخَطِ الله عَزَّ وَجَلَّ مَا لَمْ يُؤْثِرُوا صَفْقَةَ دُنْيَاهُمْ فَإِذَا آثَرُوا صَفْقَةَ دُنْيَاهُم عَلَى دِينِهِمْ وَتَرَكُوا لَا إِلَهَ إِلَا الله رُدَّتْ إِلَيْهِمْ» وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٨٧] وروى صاحب الفردوس عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: «لَقِّنُوا أَمْوَاتَكُم لَا إِلَهَ إِلَّا الله فَإِنَّهَا خَفِيفَةٌ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَةٌ فِي المِيزَانِ لَو جُعِلَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله فِي كَفَّةٍ وَجُعِلَتِ السَّمٰوَاتُ وَالأَرْضُ فِي كَفَّةٍ لَرَجَحَتْ بِهِنَّ لا إله إلَّا الله».

وروى النسائي، وابن حبان في صحيحه، والحاكم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال موسى عليه السلام: «يَا رَبِّ عَلِّمْنِي شَيْئاً أَذْكُرُكَ بِهِ وَأَدْعُوكَ بِهِ قَالَ: يَا مُوسَىٰ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَا الله قَالَ: يَا رَب كُل عِبَادكَ يَقُولُونَ هَذَا؟ قَالَ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَا الله قَالَ: إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئاً تَخُصنِي بِهِ قَالَ: يَا مُوسَى لَو أَنَّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ وَالأَرَاضِين السَّبْعُ فِي كَفَّةٍ وَلَا إِلَهَ إِلَا الله فِي كَفَّةٍ مَالَت بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَا الله».

وروى عبد بن حميد، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «يُؤتَى بِرَجُلٍ يَومَ القِيَامَةِ ثُم يُؤتَى بالمِيزَانِ ثُم يُؤتَى بِتِسعَةٍ وَتِسعِين سِجِلاً عَلَى سَجِلٍ مِنْهَا مَدَّ البَصَرِ فِيهَا خَطَايَاهُ وَذُنُوبهُ فَتُوضَعُ فِي كَفَّةِ المِيزَانِ ثُم يَخرُجُ لَهُ قِرْطَاسٌ مِثْلَ هَذَا وَأَمْسَكَ بِإِبْهَامِهِ عَلَى نِصْفِ أُصْبَعِهِ فِيهَا أَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَا اللَّه وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَتُوضَعُ فِي كَفَّةٍ أُخرَى فَتَرجَحُ بِخَطَايَاهُ وَذُنُوبِهُ».

قال الفشني في شرحه على الأربعين النووية عند قوله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاس حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَا اللَّهُ» الحديث فصل في الكلام على لا إله إلا الله وبعض فضائلها. اعلم أن الله سبحانه وتعالى أمر عباده يعتقدونها ويقولونها فقال سبحانه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] وذم مشركي العرب بقوله: إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون وقال ﷺ لعمه أبي طالب: «قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةٌ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَومَ القِيَامَةِ» فلا إله إلا الله كلمة التقوى كما فسرها ﷺ وفي حديث عثمان رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنِّي لأَعلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا عَبْدٌ حَقاً مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ الله تَعَالَى عَلَى النَّارِ» فقال عمر رضي الله تعالى عنه: أنا أحدثك ما هي كلمة الإخلاص التي لزمها محمد وأصحابه.

قال سهل التستري رحمه الله تعالى: ليس لقول لا إله إلا الله ثواب، إلا النظر إلى وجه الله عزَّ وجلَّ، والجنة

ثواب الأعمال وقيل: إن كلمة التوحيد إذا قالها الكافر، ينتفي عنه ظلمة الكفر، ويثبت في قلبه نور التوحيد، وإذا قالها المؤمن في كل يوم ألف مرة، فبكل مرة تنفي عنه شيئاً تنفه المرة الأولى، وهي أفضل الذكر كما قال النبي ﷺ، وهي أدب الناسكين، وعمدة السالكين، وعدة السائرين وتحفة السابقين.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: يفتح الله تعالى أبواب الجنة، وينادي منادٍ من تحت العرش، أيتها الجنة وكل ما فيك من النعم، لمن أنت؟ فتنادي الجنة وكل ما فيها، نحن لأهل لا إله إلا الله، وعند هذا تقول النار: وكل ما فيها من العذاب لا يدخلني إلا من أنكر لا إله إلا الله، ولا أطلب إلاّ من كذّب بلا إله إلا الله، وأنا حرام على من قال لا إله إلا الله، وأنا امتلئ بمن جحد لا إله إلا الله وليس غيظي وزفيري، إلاّ على من أنكر لا إله إلا الله قال: فتجيء رحمة الله ومغفرته فتقول: أنا لأهل لا إله إلا الله، وناصرة لمن قال لا إله إلا الله، ومحبة لمن قال لا إله إلا الله، والجنة مباحة لمن قال لا إله إلا الله، والنار محرمة على من قال لا إله إلا الله، والمغفرة من كل ذنب لأهل لا إله إلا الله، والرحمة والمغفرة غير محجوبة عن أهل لا إله إلا الله.

وقال بعضهم: الحكمة في قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ١، ٢] إن يوم القيامة يتجلى نور لا إله إلا الله، فيضمحل في ذلك نور الشمس والقمر، لأن أنوار تلك أنوار مجازية، ونور لا إله إلا الله نور حقيقي ذاتي، واجب الوجود لذاته تعالى، والمجاز يبطل في مقابله الحقيقة.

وجاء في الآثار إن العبد إذا قال لا إله إلا الله أعطاه الله تعالى من الثواب بعدد كل كافر وكافرة، قيل: والسبب أنه لما قال هذه الكلمة، فكأنه قد ردّ على كل كافر وكافرة، فلا جرم يستحق الثواب بعددهم. **وسئل** بعض العلماء عن معنى قوله تعالى وبئر معطلة، وقصر مشيد، فقال: البئر المعطلة قلب الكافر معطل من قول لا إله إلا الله، والقصر المشيد قلب المؤمن معمور بشهادة أن لا إله إلا الله، وقيل: في قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠] يعني من قولا لا إله لا الله.

وروي أن النبي ﷺ كان يمشي في الطرق ويقول: قولوا: «لَا إِلَهَ إِلَّا الله تُفْلِحُوا» **وقال** سفيان بن عيينة ما أنعم الله على العباد بنعمة أفضل من أن عرفهم، لا إله إلا الله وأن لا إله إلا الله في الآخرة كالماء في الدنيا.

وذكر سفيان الثوري رحمه الله أن لذة قول لا إله إلا الله في الآخرة، كلذة شرب البارد في الدنيا. وقال مجاهد في تفسر قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠] ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] وقيل: إن كل كلمة يصعد بها الملك إلا قول لا إله إلا الله، فإنه يصعد بنفسه دليله قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] أي قول لا إله إلا الله والعمل الصالح يرفعه، أي الملك يرفعه إلى الله تعالى، حكاه الرازي **وحكي أيضاً** أنه إذا كان آخر الزمان، فليس لشيء من الطاعات فضل، كفضل لا إله إلا الله، لأن صلاتهم وصيامهم يشوبها الرياء والسمعة، وصدقاتهم يشوبها الحرام ولا إخلاص في شيء منها، أما كلمة لا إله إلا الله فهي ذكر الله تعالى، والمؤمن لا يذكرها إلاّ عن صميم قلبه.

وفي الخبر يقول الله تعالى: «لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهَ حِصْنِي فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي» وُيقال لا إله إلا الله محمد رسول الله سبع كلمات، وللعبد سبعة أعضاء، وللنار سبعة أبواب، فكل كلمة من هذه الكلمات السبع، تغلق باباً من الأبواب السبعة، على على عضو من الأعضاء السبعة حُكي عن الإمام الرازي رحمه الله تعالى، أن رجلاً كان واقفاً بعرفة، فكان في يده سبعة أحجار فقال: يا أيتها الأحجار اشهدوا لي أني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله فنام؛ فرأى في المنام، كأن القيامة قد قامت، وحوسب ذلك الرجل، فوجبت له النار، فلما ساقوا به إلى باب من أبواب جهنم، جاء حجر من تلك الأحجار السبعة، وألقت نفسها على ذلك الباب، فاجتمعت ملائكة العذاب على رفعها فما قدروا، ثم سيق إلى الثاني فكان الأمر كذلك، وهكذا الأبواب السبعة، ثم سيق إلى العرش فقال الله سبحانه وتعالى: عبدي أشهدت الأحجار فلا يضيع حقك، أنا شاهد على شهادتك بتوحيدي، ادخل الجنة، فلما قرب أبواب الجنان، فإذا أبوابها مغلوقة، فجاءت شهادة أن لا إله إلا الله، وفتحت الأبواب، ودخل الرجل الجنة.

وروى القرطبي بسنده أن النبي ﷺ قال: حضر ملك الموت عليه السلام رجلاً، فنظر في كل عضو من

أعضائه، فلم يجد فيه حسنة، ثم شق عن قلبه، فلم يجد فيه شيئاً، ثم فكّ عن لحييه فوجد طرف لسانه ماسكاً بحنكه يقول: لا إله إلا الله فقال: وجبت لك الجنة بقول كلامة الإخلاص، يعني لا إله إلا الله.

وفي الحديث من كان آخر كلامه من الدنيا، لا إله إلا الله دخل الجنة. وفيه أيضاً ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم، ولا نشورهم، وكأني بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، والأحاديث والآثار في فضلها كثيرة شهيرة، وفي هذا كفاية اهـ.

وأما فضل قول الذاكر عليه سلام الله بعد قوله في المرة الأخيرة من كلمة الشهادة لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله ﷺ فسيأتي في الفصل الموفي أربعين في ذكر فضائل الأذكار، غير اللازمة للطريقة عند تعرضنا لذكر فضل السلام عليه، وذكر فضل لسلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، وأما فضل أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا الله هو الحي القيوم. فروى أبو يعلى الموصلي، والطبراني عن ابن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ استَغفَرَ الله دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَقَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ العَظِيم الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَا هُو الحَيُّ القَيُّوم. وَأَتُوبُ إِلِيهِ غُفِرَت لَهُ ذُنُوبُهُ، وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ»**.

وروى ابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ قَالَ أَسْتَغْفِرُ الله العَظِيم الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُو الحَيَّ القَيُّومَ وَأَتُوبُ إِليهِ خَمْسَ مَرَّاتٍ غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ»** اهـ **وأما** فضل جوهرة الكمال فقد قال الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: إن رسول الله ﷺ ذكر لها خواص منها المرة الواحدة، تسبيح العالم ثلاث مرات.

ومنها: من قرأها سبعاً فأكثر، يحضره رسول الله ﷺ والخلفاء الأربعة ما دام يذكرها.

منها: أن من لازمها كل يوم أزيد من سبع مرات، يحبه النبي ﷺ محبة خاصة، ولا يموت حتى يكون من الأولياء. وقال الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: من داوم عليها سبعاً عند النوم على طهارة كاملة وفراش طاهر، يرى النبي ﷺ.

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: أعطاني رسول الله ﷺ صلاة تسمى جوهرة الكمال، كل من ذكرها اثني عشرة مرة وقال هذه هدية مني إليك يا رسول الله، فكأنما زاره في قبره، يعني في وضته الشريفة، وكأنما زار أولياء الله والصالحين من أول الوجود إلى وقته ذلك.

وأما فضل سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ففي لباب التأويل عند هذه الآية وقيل الغرض من ذلك تعليم المؤمنين أن يقولوا، ولا يبخلوا به، ولا يغفلوا عنه.

لما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة، فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين ففي لباب التأويل عند هذه الآية وقيل الغرض من ذلك تعليم المؤمنين أن يقولوا، ولا يبخلوا به، ولا يغفلوا عنه.

لما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة، فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلن، والحمد لله رب العالمين والله تعالى الموفق بمنه للصواب، وإليه سبحانه المرجع والمآب.

في ذكر فضائل الأذكار غير اللازمة، التي يختص بها الخواص من أهل الطريقة

اعلم أن جميع أذكار هذه الطريقة، بل وغيرها لا ينال شيئاً من أسرارها المطلوبة منها، إلا من كان له الإذن الصحيح، حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ كما تقدم في الفصل الثالث والعشرين من هذا الكتاب المبارك، وذلك أن الشيخ رضي الله عنه لا يذكر إلّا ما رتبه له رسول الله ﷺ.

قال رضي الله عنه: كما في جواهر المعاني لا أذكر ذكراً إلا ما رتبه لي رسول الله ﷺ. ثم اعلم أنها لا تذكر إلّا بالطهارة المائية، إلّا لعذر كالأذكار اللازمة. قال في جواهر المعاني: وسألته رضي الله تعالى عنه عمن احتلم في السفر، ولم يقدر على الاغتسال بوجه من الوجوه، هل يذكر جميع ما عنده من الأوراد فأجاب رضي الله تعالى عنه بقوله: إنه يتيمم ويذكر جميع أوراده كالسيفي وغيره، إلّا الفاتحة بنية الاسم، فلا يقرأها ولو طال الحال إلى الأبد، إلّا بطهارة مائية كاملة. ثم قال رضي الله عنه: قد سألت سيدنا رسول الله ﷺ هل أذكر الاسم الأعظم بالتيمم للمرض إذا أصابني ولم أقدر على الوضوء قال: لا إلّا أن تذكر بالقلب دون اللسان، ثم قال سيدنا رضي الله تعالى عنه: هذا حكم من احتلم في السفر. وأما من احتلم في الحضر والصحة، فلا يذكر شيئاً من أوراده. إلّا إذا اغتسل ثم قال بعد كلام. وأما ذكر الفاتحة بنية الاسم فلا يقرأها بالتيمم لا في السفر ولا في الحضر، ولو طال الحال إلى الأبد اهـ.

وإذا فهمت هذا فلنشرع في المقصود بحول الملك المعبود، فنقول: وأما فضل ياقوته الحقائق، ففي جواهر المعاني أن الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به، ذكر أن من داوم على قراءتها، تضمن له خير الدنيا والآخرة، وإن من ذكرها مرتين في الصباح ومرتين في المساء، غفرت له ذنوبه الكبائر والصغائر بالغة ما بلغت، ولا يقع له وهم في التوحيد، لكن بالإذن الصحيح منه رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به، أو ممن أذن له.

أما حزب السيفي فله اثنا عشر ألف خاصية قال شيخنا رضي الله عنه وأرضاه وعنا به: قال جبريل للنبي ﷺ للسيفي اثنا عشر ألف خاصية، ستة آلاف في الدنيا وستة آلاف في الآخرة، فمن داوم على قراءته حصلت له الخواص بأجمعها الدنيوية والآخروية اهـ.

• وقال السيد محمد غوث الله في جواهره: اعلم أن السيفي من آيات الله تعالى فيها عجائب لا تحصى، وغرائب لا تنكر، وأكثر أهل الله وجدوا الفيض الفيّاض من هذا الدعاء، وصاروا منه محظوظين بالحظ الأوفر.

وعن الإمام جعفر الصادق أن له اسماء عديدة منها سيف الله، ويمين وقدرة الله، ويد الله وبرهان وصمصام الله، والحزب اليماني، وحزب الله، وسهم الله، وحرز البررة والحزب الأعظم، والحزب السيفي انتهى.

وقال الشيخ أبو عبد الله الأندلسي: اعلم أن من كان سعيداً في الدنيا والآخرة، يصل إليه هذا الدعاء المبارك. اهـ **وقال** شيخنا رضي الله عنه وأرضاه وعنا به: إن حزب السيفي، وصلاة الفاتح لما أغلق، يغنيان عن جميع الأذكار، حيث كانت، وما توجه متوجه، ولا تقرّب متقرّب إلى الله تعالى بأفضل منهما، وأما السيفي فهو للنبي ﷺ وله ستون ألف كرامة اهـ.

ومرادي أن أذكر من كراماته الأخروية فقط شيئاً قليلاً، يمكن لي ذكره وافشاؤه فأقول: وبالله تعالى التوفيق، وهو الهادي بمنّه إلى سواء الطرق.

منها: أن من لازم قراءته صباحاً ومساءً يحبه الله محبة خاصة.

ومنها: إن من كتبه وعلمه عليه يعد من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات وإن لم يذكره.

ومنها: إن من لازم قراءته صباحاً ومساءً لا يكتب عليه ذنب.

ومنها: أن لازم قراءته صباحاً ومساءً غفر الله تعالى له ما تقدم من ذنبه.

ومنها: أن من قرأه في سنة لا تكتب ذنوبه تلك السنة.

ومنها: أن من قرأهُ يُعطى عبادة سنة، ومرتين يعطى عبادة سنتين، وثلاثاً يعطى عبادة ثلاث سنين، وهكذا على هذا المهيع،

ومنها: أن الله تعالى يعطي قارئه ثواب صوم رمضان.

ومنها: أن الله تعالى يُعطي قارئه مرة، مثل ثواب قيام ليلة القدر، بالغاً ما بلغ في كل مرة.

ومنها: إن من قرأه إحدى وأربعين مرة، فإن الله تعالى يرزقه كرامات الأولياء، ويجعله مصباحاً لهم، في أي مكان بإذن الله تعالى.

ومنها: أن من قرأ كل صباح ثلاث مرات إلى تمام أربعين صباحاً، نال كرامة الأولياء، وصار عزيزاً مكرماً بين الخلائق، لا يخاصم ولا يدافع.

ومنها: أن من قرأه إحدى وأربعين مرة أربعين صباحاً متوالياً، بلّغه الله تعالى مرتبة الولاية، وكان أولياء الله تعالى الذين يتصرفون في الغيب.

ومنها: أن من أراد رؤية نبي من الأنبياء، أو وليّ من الألياء، أو واحد من أهله أو أقاربه، فليقرأه إحدى وأربعين مرة، فإنه يراه بإذن الله تعالى.

ومنها: أن من قرأه على نفسه ووالده إحدى وأربعين مرة، لا يرون في الدنيا شدة، ولا في الآخرة مشقة.

ومنها: أن من قرأه مرة واحدة أنجاه الله تعالى من موت الفجأة.

ومنها: أن من قرأه أربعين مرة لإحضار الخضر، يحضره الخضر رضي الله تعالى عنه.

ومنها: إن المداوم على قراءته لا يخرج من الدنيا إلاّ مع الإيمان، ولو كانت أعماله لا تصلح، ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر، غفر الله تعالى له بفضله، وتاب عليه توبة نصوحاً.

ومنها: أن من داوم على قراءته خلق الله تعالى له شخصاً حسن الوجه، فإذا دنا أجله جاء إليه ذلك الشخص، وجلس قبالته. فينظر إليه فيعجبه حسنه وجماله، ويسبّح الله؛ ثم يخرج روحه من غير تعب ولا مشقة وهو لا يتوجع. ولا يدري بشيء.

ومنها: إن الملكين إذا جاءاه في قبره ليسألانه عن حاله، يأمر الله تعالى هذا الحرز يجاوب عنه بأحسن جواب.

ومنها: أنه إذا قام يوم القيامة يخرج من قبره، ووجهه كالقمر ليلة نصفه ببركته.

ومنها: أنه إذا قام من قبره أول ما يصافح النبيﷺ.

ومنها: أنه إذا حضر للميزان أمر الله تعالى أن لا يحاسبون. ويقول إنه كان يداوم في الدنيا على قراءة الدعاء.

ومنها: أنه إذا وصل إلى الصراط، جعل الله تعالى له هذا الحرز مركباً على الصراط. ويقول: اركبني واعبر على الصراط في أقل من لمح البصر. وقيل: يحمله ملك ويمر به، فإذا سلم يقول له من أنت؟ فيقول له دعاؤك الذي كنت تدعو به في الدنيا.

ومنها: أن النبي ﷺ يأمر الزائرين إذا أتوه لزيارته باكرام قارئ هذا الدعاء.

ومنها: من داوم على قراءته خلده الله تعالى في الجنة ببركتها.

ومنها: أنه لا يكون لأحد خلعة، ولا أعلى درجة أكثر من قارئ هذا الحرز.

ومنها: أن الله تعالى يهب له بكل حرف من هذا الدعاء درجة في الجنة ببركته.

ومنها: أن من كتبه وسقى محوه للصبي يفتح له باب التحصين.

ومنها: أن من قرأه معتقداً بركته، حضره سبعون ألف ملك، فإذا قال: اللهم أنت الملك الحق المبين، إلى قوله لا إله إلا أنت سجدت الملائكة كلها لله عزَّ وجلّ، وسألوه أن يقضي حاجة الداعي اهـ.

ما أردنا ذكره وقد جمعنابعض خواصه وكراماته في تأليف مستقل مفيد فانظره، فإن ما يكفيك إن شاء الله تعالى. **وأما حزب المغني** فإنه يقرأ بعد قراءة حزب السيفي، لكن إن قرأت حزب السيفي مرة واحدة، ولم تزد، فإنك تقرأ حزب المغني مرة واحدة، ومن فضائل حزب المغني أن من لازم قراءة حزب السيفي صباحاً ومساءً، يحبه

الله تعالى محبة خاصة كما تقدم، ومن لازم تلك المحبة الخاصة أن الله تعلى يمتحن صاحبها بالفقر ونحوه، ولا يمنع بفضل الله تعالى من ذلك الامتحان، إلا قراءته حزب المغني بعد قراءة حزب السيفي على الوصوف المتقدم.

وأما سورة القدر فإنها مثل السيفي في الثواب، كما أخبر به الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به، عن سيد الوجود وعلم الشهود، سيدنا ومولانا محمد ﷺ.

وأما سورة الإخلاص فقد رُوي في فضائلها أحاديث كثيرة. روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه. أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] يرددها، فلما أصبح جاء إلى رسول الله ﷺ، فذكر ذلك له، وكان الرجل يتقالها فقال رسول الله ﷺ: **«والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ»** وفي رواية قال: قال النبي ﷺ لأصحابه: **«أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ القُرْآنِ فِي لَيلَةٍ؟»**. فشق ذلك عليهم فقالوا: أينا يطيق ذلك؟ فقال: **«﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثُلُثُ القُرْآنِ»**.

وروى مسلم أيضاً عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: خرج علينا النبي ﷺ فقال: **«أَقْرَأُ عَلَيكُم ثُلُثَ القُرْآنِ»** فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ حتى ختمها، وروى الترمذي، وقال حسن غريب، عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: **«مَنْ قَرَأَ كُلَّ يوم مَائة مَرَّة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، مَحَا اللَّهُ عَنْهُ ذُنُوبَهُ خَمسِينَ سَنَة، إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَلَيهِ دَينٌ»**.

وفي رواية عنه عن النبي ﷺ قال: **«مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنَام عَلَى فِرَاشِهِ فَنَامَ عَلَى يَمِينِهِ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مَائة مَرَّة، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ يَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا عَبْدِي أَدْخُل عَلَى يَمِينِكَ الجَنَّة»**.

وروى الترمذي أيضاً، عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال يا رسول الله إني أحب هذه السورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ قال: **«حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّة»** وروى الترمذي أيضاً وقال حديث حسن صحيح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: أقبلت مع رسول الله ﷺ، فسمع رجلاً يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ فقال رسول الله ﷺ: **«وَجَبَتْ لَكَ الجَنَّة»**.

وروى أبو يعلى، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ خَمسِينَ مَرَّةٍ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَ خَمسِينَ سَنَة»** وروى مسدد، وأبو بكر بن أبي شيبة، والنسائي، بإسناد صحيح عن مهاجر بن الحسن قال: سمعت رجلاً يحدّث قال إني لأسير مع النبي ﷺ في ليلة مظلمة، فسمع قارئاً يقرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، فقال: أما هذا فقد برئ من النفاق، فسمع قارئاً يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقال: أما هذا فقد كفر له، فكففت راحلتي لأنظر من الرجل، فأبشره، فنظرت يميناً وشمالاً فما رأيت أحداً.

وروى الطبراني عن أبي هريرة، إنه سمع رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ بَعدَ صَلَاةِ الصُّبحِ اثْنَي عَشَرَ مَرَّةٍ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ القُرآنَ أَربَعَ مَرَاتٍ وَكَانَ أَفضَل أَهلِ الأَرْضِ يَومَئِذٍ إِذَا اتَّقَى»** وروى سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد إِحْدَى عَشْرَةَ مَرَّةً بَنَى اللَّهُ لَهُ قَصْراً فِي الجَنَّة»** ومن قرأها عشرين مرة بني الله له قصرين في الجنة، ومن قرأها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاثة قصور في الجنة. فقال عمر: إذاً تكثر قصورنا فقال ﷺ: **«فَضْلُ الله أَوْسَعُ مِنْ ذَلِكَ»**.

ورُوي أنه ﷺ قال: **«مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فِي مَرَضِهِ الَّذِي يَمُوتُ فِيهِ لَمْ يُفتَنْ فِي قَبْرِهِ وَأَمِنَ مِن ضَغْطَةِ القَبْرِ وَحَمَلَتْهُ المَلَائِكَةُ بِأَكُفِّهَا، حَتَّى تُجِيزَهُ مِنَ الصِّرَاطِ إِلَى الجَنَّةِ»** وقد أفردت أحاديثها بالتأليف وفي هذا القدر كفاية لأولي الألباب.

قال في السراج المنير ولها أسماء كثيرة، وزيادة الأسماء تدل على شرف المسمى. **أحدها**: أنها التفريد، **ثانيها**: التجريد، **ثالثها**: التوحيد، **رابعها**: سورة الإخلاص، **خامسها**: سورة النجاة، **سادسها**: سورة الولاية، **سابعها**: سورة النسبة لقولهم أنسب لنا ربك، **ثامنها**: سورة المعرفة، **تاسعها**: سورة الجمال، **عاشرها**: سورة القشقشة، **حادي عشرها** سورة المعوذة، **ثاني عشرها**: سورة الصمد، **ثالث عشرها**: سورة الأساس، قال: أسست السموات السبع والأرضون السبع، على قول ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، **رابع عشرها**: المانعة لأنها تمنع فتنة القبر،

ولهجات النار، **خامس عشرها**: المحتضر، لأن الملائكة تحضر لاستماعها إذا قرئت، **سادس عشرها**: المنفرة لأن الشياطين تنفر عند قراءتها، **سابع عشرها** سورة البراءة من الشرك، **ثامن عشرها**: المذكرة لأنها تذكر العبد خالص التوحيد، **تاسع عسرها**: سورة النور لأنها تنور القلب، **العشرون**: سورة الحصن.

قال ﷺ إذا قال العبد: الله قال الله دخل حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي.

وروي مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ، بعث رجلاً في سرية فكان يقرأ في صلاته، فيختم بـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: سلوه لأي شيء يفعل ذلك. فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأها فقال ﷺ: **«أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ»**.

نسأل الله بفضله وكرمه أن يحبنا ونحبه حتى نلقاه على ذلك. وقال شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به كما في جواهر المعاني، ورد في الحديث الشريف أن من قرأ سورة الإخلاص مائة ألف مرة، أعتقه الله من النار، وبعث منادياً ينادي يوم القيامة، من كان له دين على فلان فليأتني أؤديه عنه، وليفعل ما يقدر عليه كل يوم، حتى يكمل تلاوتها، وتكون مع البسملة في كل مرة، وأستقبال القبلة وعدم الكلام في وقت الذكر، وفيها عدد ثلاثة وثلاثين ألف سلكة، وثلاثمائة ألف سلكة، وثلاث وثلاثين سلكة، وبينهما عشرة آلاف قصر في الجنة اهـ.

وأما آخر سورة الحشر وهو لو أنزلنا إلى آخر السورة، فلها فضائل كثيرة. وروى الترمذي وقال: حديث غريب عن معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ قَرَأَ حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَقَرأَ الثَّلاثَ آيَاتٍ مِنْ آخرِ سُورَةِ الحَشْرِ وَكَّلَ الله بِهِ سَبْعِينَ أَلفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيهِ حَتَّى يُمسِي، وَإِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ اليَومِ مَاتَ شَهِيداً وَمَن قَالَها حِينَ يُمسِي كَذَلِكَ»**.

وروي أبو منصور الديلمي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: **«اسْمُ اللهِ الأَعْظَم فِي ثَلَاثِ آيَاتٍ مِنْ آخرِ سُورَةِ الحَشْرِ»** وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سألت خليلي أبا القاسم رسول الله ﷺ عن اسم الله الأعظم فقال: **«عَلَيكَ بآخِرِ سُورَةِ الحَشْرِ فَأَكْثِرُوا قِرَاءَتَها»** فأعدت عليه فأعاد ا. ومن قرأها كل صباح بدون الاستعاذة، غفر الله له، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً، وكذلك في المساء.

وقال شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه عنا به: ومن مكفرات الذنوب الدوام على قراءة آخر سورة الحشر، فإن صاحبها يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وروي أبو إسحاق الثعلبي في تفسره عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ قَرَأَ آخِرَ سُورَةِ الحَشْرِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ»** **وأما حزب البحر** فهو من إملاء رسول الله ﷺ على شيخ الطريقة والحقيقة الشيخ أبي الحسن الشاذلي، رضي الله تعالى عنه وأرضاه، ثم أخذه شيخنا وسيدنا أحمد بن محمد رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ وقيل: إن فيه اسم الله الأعظم، وفي خاصية التحصين في البر والبحر مع الإذن الصحيح من أربابه، وفيه كيفيات في قراءته وفي تحصينه، وفي أرادها فليطلبها من أربابها، ويأت البيوت من أبوابها اهـ. ما في جواهر المعاني.

قلت: فيها أنا أذكر لك بعض فضائله وخواصه، أما فضله فتبين بوجوه أولها، أن معظمه مأخوذ من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وقد تضمّن نحواً من ست وثلاثين آية من كتاب الله تعالى، من الأذكار المأثورة ست أحاديث ونحواً من أربعين اسماً من اسماء الله تعالى.

وقال بعض أكابر الأولياء: إن فيه اسم الله الأعظم في ثلاث مواضع، وثانيها انتشاره وشهرته في الأقطار، حتى لقد أتهم وأنجد وأغار وطار في الآفاق كل مطار، وشاع في البدو والحضر، وسار في الناس مسير الشمس والقمر مشرقاً ومغرباً، وشاماً وحجازاً ومصراً، وكم ترى من بلدة هو يقرأ في مساجدها ونواحيها، وكم من قرية هو مشهور فيها، وقد حفظه الكثير من الصالحين والأولياء والصديقين، يرونه في الحاجات وعند الضرورات، وفي المساء والبكرات ويستعيذون به عند المخوفات، قد حفظه الأكابر والعلماء، واعتنى به الأخيار والصلحاء، وقد صار تمائم على الصدور وجعل حرزاً على النحور، وعلى الدواب والحيوان، ومسطوراً في البيوت والجدران، وشاع في الناس، وذاع وملئت به الأفواه والأسماء والأماكن والبقاع كما قيل:

وأتـهـم حـزب الأحـمـديـة مـشـرقـاً … كـبـدر تـمـام فـي الأنـام وأنـجـدا
وسـار بـه مـن لا يـسـيـر مـشـمـراً … وفـاه بـه لا يـفـوه مـردداً
وتـسـمـعـه إن شـئـت شـرقـاً ومـغـربـاً … وشـهـرتـه فـي الـخـلـق كـالـنـجـم مـوقـدا
وفـي الـركـب إن سـاروا تـلـوه تـبـركـا … وفـي الـقـوم إن خـافـوا بـه يـأمـن الـعـدا
وفـي الـطـفـل إن يـرق تـجـده مـبـاركـاً … وفـي الـحـج إن يـجـا تـرى الـنـجـم قـد بـدا
وفـي الـبـحـر فـاذكـره يـريـك عـجـائـبـاً … وتـيـسـيـر أسـبـاب وأمـراً مـسـدداً
ترى الـبـحـر مـطـواعـاً ترى الـريـح لـيـنـاً … ترى اللطف من قرب ترى الوقت مصعداً
فـأكـرم بـهـذا مـن دعـاء مـبـارك … عـظـيـم حـجـاب ظـاهـر الـنـفـع والـجـدا

وإنما قلت حزب الأحمدية مع أن الشارح صاحب القصيدة إنما قال وإنهم حزب الشاذلية، لكون شيخنا أحمد التجاني رضي الله عنه، أخذ هذا الحزب عن النبي ﷺ مشافهة يقظة لا مناماً، فلذلك نسبته إليه رضي الله عنه، وإلى أهل طريقته رضي الله عنهم أجمعين.

لهذه الكثرة والانتشار سرٌّ باطن وعناية من الله تعالى ولولا وجود نفع به، وتجربة لمنافعه لما كان هذا الانتشار:

والـنـاس أكـيـس مـن أن يـمـدحـوا رجـلاً … حـتـى يـروا عـنـده آثـار إحـسـان

والوجه الثالث: تجربته في الحالات وعند الضرورات، وهذا باب واسع؛ فكثير من الناس وجدوا له بركة وحالة صادقة وأموراً ظاهرة، وحكايات تجربته كثيرة منتشرة، يضيق الوقت عن ذكرها.

قال بعضهم: وقد اتفق لي منه أمور في بعض الحالات، ولا سيما في الحروب ما يطول ذكره، أما بعض خواصه فقد جاء عن الشيخ أنه قال: لو قرئ حزبي ببغداد، لما أخذت وهو العدة الوافية والجنة الواقية، التي فيها تفريج الكروب بلطائف الغيوب، وما قرئ في مكان إلّا سلم من الآفات، وحفظ من حوادث العاهات. وفي ذكره لأهل البدايات أسرار شافية، ولأهل النهايات أنوار صافية، ومن ذكره كل يوم عند طلوع الشمس، أجاب الله دعوته وفرج كربته، ورفع بين الناس قدره، وشرح بالتوحيد صدره، وسهّل أمره، ويسرّ عسره، وكفاه شر الأنس والجن، وأمنه من شر طوارق الليل والنهار، فلا يقع عليه بصر أحد إلّا أحبه. وإذا قرأه عند جبار من من شره، ومن قرأه عقب كل صرة أغناه الله تعالى عن خلقه، وأمنه من حوادث دهره، ويسرّ عليه أسباب السعادة في حركاته وسكناته، ومن أراد أن يبلغ مراده، فليقرأ عقب صلاة الصبح سورة يس عشر مرات، ثم يقرأ هذا الدعاء سبعين مرة، فإن الله تعالى يبلغه مراده بإذنه، ومن ذكره في الساعة الأولى من يوم الجمعة ألقى الله محبته في القلوب.

قال بعض العلماء: من كتبه على شيء كان محفوظاً بحول الله تعالى وقوته، ومن استدام قراءته لا يموت غريقاً، ولا حريقاً، ولا شريقاً، وإذا احتبس الريح على أهل سفينة وذكروه، جاءت الريح الطيبة بإذن الله تعالى، ومن كتبه على سورة مدينة أو حائط، دار مديراً عليها حرس الله تعالى تلك المدينة من شر طوارق الحدثان والآفات، وله منفعة جليلة في الحروب، وهو دعاء النصر والغلبة على سائر الخصوم.

قال الشيخ أحمد زروق وأما التصرف بهذا الحزب، فهو بحسب النية والهمة، يتصرف به في الجلب والدفع، وينوي المراد عند قوله: وسخّر لنا هذا البحر كما قال ابن عبّاد رحمه الله تعالى، فيما رأيته بخطه وهو صحيح، ولولا خوف التطويل وإفشاء ما ينبغي كتمه، لذكرت هنا العجائب والغرائب وفيما ذكرنا كفاية.

وأما الأسماء الإدريسية فلها خواص عظام، وفضائل كثيرة، ومن أرادها فعليه بمطالعة كتاب الجواهر الخمس لسيدنا محمد الغوث، مع شارحه سيدي محمد الشناوي رضي الله عنهما.

وأما فضل فاتحة الكتاب، فقد ورد في الحديث إنها أعظم من القرآن، وهي السبع المعاني والقرآن العظيم إلى غير ذلك، مما ورد في فضلها من الأحاديث المشهورة، فمن أراد ذلك فليطلبها من محالها، وأما ما أخبر به الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: فقد ذكر أن قارئ الفاتحة بنية الاسم الأعظم، يكتب له بكل مرة سبعون ألف مقام، من كل ما خلق الله تعالى في الجنة، وعند التلفظ بها يتلقاها من فيه أربعة من الملائكة الكرام، ويقولون له

وهو أعلم إن فلاناً ذكر اسمك فيقول لهم: اكتبوه من أهل السعادة، واكتبوه من جوار محمد ﷺ وتذكره معه الملائكة في جميع عوالمه، وذكر كل ملك يتضاعف بعشر مرات، ويكتب ذلك لتالي الفاتحة بالنية المذكورة، ويكتب له مع ذلك ثواب الفاتحة لكل جرف مائتا حسنة، ولا يكتب عليه سيئة ويكون من المحبوبين والمقربين. وهذا من الأسرار العلمية المكتوبة. فاعرف ولا تجهل اهـ.

وقال أيضاً رضي الله تعالى عنه أما المرتبة الظاهرة في ذكر الفاتحة بنية الاسم، فهي للشخص نفسه في ذكر نفسه أربعة آلاف ألف ألف ألف مرة من صلاة الفاتح لما أغلق، ومعها مائتا ألف ألف ألف مرة من الفاتح لما أغلق هذا في ذكر نفسه، وأما في ذكر الملائكة معه فله بكل لفظة من لسان كل ملك في كروة العالم اثنان وأربعون ألف ألف ألف ألف مرة من الفاتح لما أغلق.

اعتبر صلاة الفاتح لما أغلق بما قدمناه فيها جميع ما قدمناه في مرتبتها الظاهرة والباطنة، وثواب كل مرة من ذكره، ومن ذكر كل لسان من كل ملك في كورة العالم، ولعلك ترى أن ما في مراتب القطب من قبلنا، يقل دونه ثواب الواحد من أصحابنا في الاسم الأعظم، وذلك من قلة التأمل، وإذا تأملت ثواب القطب من قبل هذا الوقت مع ثواب مرة واحدة بأصحابنا، بأن لك أن ثواب القطب من قبلنا بالنسبة إلى ثواب مرة واحدة من ذكر واحد من أصحابنا كنقطة في البحر الميحط.

قال رضي الله تعالى عنه: ولا يعرف كمية الزمان الماضي، لكن الله عزَّ وجلَّ لما خلق روح الإنسان أقامها سبحانه وتعالى في حجر تربيته، يلاطفها بالمحاسن والتكريم والإعزاز لها. أقامها الله تعالى في هذا الحال تسعمائة ألف عام وثمانين ألف عام، ثم قال اطلعت على زمان في الغيب مضى بعد هذا وقدره ثلاثمائة ألف ألف ألف عام وسبعون ألف عام، وثمانية آلاف ألف ألف عام وثمانون ألف ألف ألف ألف ألف ألف عام أخرى اهـ.

فاعلم أن الشيخ رضي الله عنه وأرضاه وعنا به قال أيضاً: ثم إن الفاتحة لها ثلاث مراتب: **الأولى**: هي المرتبة الظاهرة، **والثانية**: هي المرتبة الباطنة، **والثالثة**: هي مرتبة باطن الباطن. وكلها في ثواب الفاتحة وهذا من غير ما تقدم.

أما المرتبة الظاهرة ففي الفاتحة مرة واحدة، ثواب كل ما ذكر به ربنا من منشأ الحقيقة المحمدية ﷺ إلى وقت تلفظ التالي بالفاتحة، فكل ما ذكر به ربنا في جميع العوالم، من كل ما أحاط به علمه من خلقه الموجودين، وما يخلقه من الخلق بعد الفاتحة المذكورة، فكل تسبيح وقع في الوجود في جميع تلك المدة، وكل ما ذكر به ربنا في جميع العالم، يعطي ثوابه لتالي الفاتحة مرة واحدة من أي ذكر كان، ما عدا ثواب تلاوة الاسم الأعظم في جميع العوالم، فلا مدخل له تحت تلاوة الفاتحة، إلّا إذا تلا الفاتحة بنية الاسم الأعظم، فيدخل تحتها ثواب جميع الاسم الأعظم من كل تالٍ في الوجود، وفي مرتبتها الظاهرة أيضاً ثواب ختمة من القرآن، وفيها أيضاً أن يحسب جميع حروفها وحروف جميع القرآن، ويعطي لتاليها بكل حرف من ذلك سبعة أبكار من الحور العين، وسبعة قصور في الجنة وهكذا دائماً كلما تلا.

وفي الجواهر قلت: وقد قيل إن حروف القرآن ثلاثمائة ألف واحد وعشرون ألفاً وخمسة وسبعون حرفاً، فإذا ضربتها في سبعة وهي عدد الحور العين، لكل حرف سبعة يخرج ألف ألف ومائتا ألف وسبع وأربعون ألفاً وخمسمائة وخمسة وعشرون حوراء اهـ. في سورة القدر ثلاثمائة ألف وستون ألفاً، لكونها فيها فضل صيام رمضان، وكل يوم منه باثني عشر ألفاً، وإذا جمع هذا العدد مع الأول يكون ألفي ألف وستمائة ألف وسبعة آلاف وخمسمائة وخمسة وعشرين اهـ. فهذا في غير الصلاة.

وأما في الصلاة، فيتضاعف مرتين إن صلى جالساً، وأربع مرات إن صلّى قائماً، وهذا للفذ. فإذا قرأها في صلاة الجماعة بمائة وثمانون مرة فإذا نظرت إلى عدد الركعات سبعة عشر ركعة بين النهار والليل، يصير ثمانية عشر مائة وستاً وثلاثين، أعني فضلها المتقدم في عدد الحروف، وهو ألفا ألف، أعني يتضاعف إلى هذا القدر، ومثله تسبيح العالم، ومثله قيام ليلة القدر، ومثله عبادة سنين، ومثله ختمات من القرآن.

الحاصل من قرأها في صلاة الجماعة يُعطى من الأجر في اليوم الواحد آلاف ألف ألف مرتبتان. وسبعمائة ألف

ألف مرتبتان، وستا وثمانين ألف ألف مرتبتان، وثلاثة وستين ألفا وتسعمائة حوراء، مع الأجر المتقدم من تسبيح العالم، وختمات القرآن إلى غيرها.

قال الشيخ رضي الله تعالى عنه، وفي الحديث من صلى خلف الإمام فقراءة الإمام له قراءة، ثم قال سيدنا رضي الله تعالى عنه: وهذا لمن لا يفهم معنى التفسير، وأما من علم التفسير فيتضاعف له الأجر مرتين، وهو مائتا حسنة لكل حرف، ثم قال سيدنا رضي الله عنه ولا تكتب عليه سيئة في تلك السنة، يعني قارئ الفاتحة، ثم قال رضي الله تعالى عنه، وهكذا في غير نية الاسم.

وأما قراءة الفاتحة بنية الاسم، فلا يحيط بفضلها إلا الله، ولا يستعظم هذا في جنب الكريم جلّ جلاله. فإن فضل الله لا حد له والسلام. ثم قال رضي الله تعالى عنه: قال لي سيد الوجود ﷺ ويجاورني في عليين وهذا الثواب كله لمن تلاها مرة واحدة اهـ.

قلت: وما ذكرت هنا من فضل الفاتحة بالنسبة لما لم أذكره كنقطة في بحر، لا يعلمه إلاّ الله تعالى، وأما فضل صلاة رفع الأعمال، فقد ورد في بعض الآثار من صلّى على النبي ﷺ بها عشراً في الصباح، وعشراً في المساء، رفع له مثل عمل أهل الأرض وأما اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك إلى آخره، فهو من مكفرات الذنوب. وفي الحديث كما في المستدرك، أن رجلاً شكى إلى رسول الله ﷺ كثرة الذنوب فقال له رسول الله ﷺ: **«قُلِ اللّٰهُمَّ مَغْفِرَتُكَ أَوْسَعُ مِنْ ذُنُوبِي، وَرَحْمَتُكَ أَرْجَى عِنْدِي مِنْ عَمَلِي»** فقال ذلك فقال: أعدها فأعادها فقال: **«قَدْ غَفَرَ اللّٰهُ لَكَ»**.

وأما فضل وظيفة الليل والنهار، وهي لا إله إلا هو والله أكبر إلى آخره، فمن ذكرها في الصباح ثلاثاً لا يكتب عليه ذنب في ذلك اليوم، حتى يمسي ومن ذكرها في المساء كذلك، لا يكتب عليه ذنب في تلك حتى يصبح.

وأما استغفار الخضر على نبينا وعليه السلام، فقد قال سيدنا رضي الله تعالى عنه: مَنْ ذكره غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وأما المسبعات العشر فقد قال الشيخ أبو عبد الله الخروبي الطرابلسي: إنها من الأوراد العظيمة، التي جرت عادة الصالحين والعباد على قراءتها، يقرؤونها ويضيفونها إلى وظائفهم وأورادهم قديماً وحديثاً، غدوة وعشية، لم يزل الشيوخ رضي الله تعالى عنهم يأمرون إخوانهم وأصحابهم بقراءتها ويحضونهم عليها، وقد أسند حديثه أبو طالب المكي في القوت عن كرز بن وبرة قال: وكان من الأبدال، عن أخ له من أهل الشام، عن إبراهيم التيمي، عن الخضر، عن النبي ﷺ اهـ.

وفي الأحياء ذكر إبراهيم التيمي، أنه رأى ذات يوم في المنام، كأن الملائكة جاءته فاحتملته، حتى أدخلوه الجنة. فرأى ما فيها ووصف أموراً عظيمة مما رآه في الجنة قال: سألت الملائكة لمن هذا كله؟ فقالوا: للذي يعمل عملك. وذكر أنه أكل من ثمرها، وسقوه من شرابها قال: فأتى النبي ﷺ ومعه سبعون نبياً، وسبعون صفاً من الملائكة، كل صف مثل ما بين المشرق والمغرب، فسلم عليّ وأخذ بيدي فقلت: يا رسول الله إن الخضر أخبرني، أنه سمع منك حديثاً قال: صدق الخضر كل ما يحكيه، فهو حق هو عالم أهل الأرض، وهو رئيس الأبدال، وهو من جنود الله تعالى فقلت: يا رسول الله فمن فعل هذا وعمله، ولم يرَ مثل الذي رأيت في منامي، هل يعطي شيئاً مما أعطيته؟ فقال: **«وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيّاً أَنَّهُ يُعْطِي الْعَامِلَ بِهَذَا وَإِنْ لَمْ يَرَنِي، وَإِنَّهُ لَيَغْفِرُ لَهُ جَمِيعَ الْكَبَائِرِ الَّتِي عَمِلَهَا، وَيَرْفَعُ اللّٰهُ تَعَالَى عَنْهُ غَضَبَهُ وَمَقْتَهُ، وَيؤمر صَاحِبَ الشِّمَالِ، أَنْ لَا يَكْتُبَ عَلَيْهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ إِلَى سَنَةٍ، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيّاً، لَا يَعْمَلُ بِهَذَا إِلَّا مَنْ خَلَقَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ سَعِيداً، وَلَا يَتْرُكُهُ إِلَّا مَنْ خَلَقَهُ اللّٰهُ تَعَالَى شَقِيّاً»**.

وذكر الشيخ أبو طالب المكي أن إبراهيم التيمي رحمه الله تعالى مكث أربعة أشهر لا يطعم، ولا يشرب بعد هذه الرؤيا اهـ.

وقال العلماء من أهل الحقائق إن في قراءتها بالغداة والعشي، أسرار نورانية للسالكين من أهل البدايات وأنوار ربانية للسالكين من أهل النهايات. ومن استدام قراءتها فتح الله تعالى عليه أبواب الخيرات والزيادات، وأطفأ عنه حرارة وشهوات الترابية، ورزقة البركة في دينه ودنياه وآخرته، ونوّر باطنه بأنوار السعادة، وجمّل ظاهره بآثار السيادة،

وأغنى فقره، ويسر عسره، وسهّل أسبابه، وكشف ضره، وكفاه شر كل طاغ وباغ وحاسد، وحرسه من شر الشيطان الرجيم، وفيها اسم الله الأعظم، وذاكره لا يقع عليه بصر أحد إلّا أحبه، ولا سأل بها شيئاً إلا أعطاه ما سأله. وفوائدها كثيرة، وأسرارها جليلة، يعرفها أهل التفريد من الأصفياء، ويشهدها أهل التجريد من الأولياء اهـ.

وأما فضل أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى الخ ففي البخاري عن عبادة بن الصامت، عنه ﷺ من قال: أشهد أن لا إله إلا الله إلى آخره، أدخله الله الجنة من أي أبوابها الثمانية شاء، على ما كان من عمل.

وأما الأذكار التي بعد الصلاة، فالفاتحة تقدم فضلها وآية الكرسي من قرأها دبر كل صلاة، لم يمنعه من دخول الجنة إلاّ الموت. وأما سورة الإخلاص فقد تقدم فصلها وأما أعوذ بكلمات الله الخ فمن ذكرها ثلاثاً في الصباح، وثلاثاً في المساء لم يضره السم.

وأما فضل تباركت إلهي إلى آخره فمن ذكره دبر كل عمل كان مقبولاً.

وأما لقد جاءكم رسول إلى آخره فمن ذكرها سبعاً في الصباح، وسبعاً في المساء لم يضره سم ولا سحر، ولا يلحقه ضرر من جانب جن ولا إنس ولا غيرهما، ولا يموت موت الفجأة، ولا يموت ما دام يذكرها، ثم أعوذ بكلمات الله التامات، تقدم فضلها، ثم حزب البحر تقدم فضله.

وأما يا من أظهر الجميل ففي جواهر المعاني **قال الراوي**: جاء به جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ وقال له أتيتك بهدية قال: وما تلك الهدية؟ قال: فذكر الدعاء فقال ﷺ: ما ثواب هذا الدعاء؟ قال له جبريل: لو اجتمعت ملائكة السموات السبع عل أن يصفوه ما وصفوه إلى يوم القيامة، وكل واحد يصف ما لا يصفه الآخر، فلا يقدرون عليه، ومن جملة ذلك أن الله تعالى يقول أعطيه من الثواب بعدد ما خلقت في السموات السبع، وفي الجنة والنار، والعرش والكرسي، وعدد القطر والمطر والبحار وعدد الحصى والرمل، ومن جملتها أيضاً أن الله تعالى يعطيه ثواب جميع الخلائق، ومن جملتها أيضاً أن الله تعالى يعطيه ثواب سبعين نبياً، كلهم بلغوا الرسالة إلى غير ذلك.

وهذا حديث صحيح ثابت في صحيفة عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ وهو عبد الله بن عمرو بن العاص، من أكابر الصحابة رضي الله تعالى عنه صححه الحاكم، ورواته كلهم مدنيون اهـ.

ثم الاسماء الإدريسية تقدمت، ثم الإخلاص كذلك، ثم السيفي كذلك ثم لا إله إلا الله يا دافع إلى آخره، ثم الدعاء الذي ذكره أبو طالب المكي،. وهو أنت الله لا إله إلا أنت إلى آخره فضله من ذكره يكتب من الساجدين المخبتين، الذين يجاورون سيدنا محمداً ﷺ وإبراهيم وموسى في دار الجلال، وله ثواب العابدين في السموات والأرض اهـ. وأما فضل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر إلى آخره فمن ذكره مرة واحدة، يكتب عند الله تعالى من الذاكرين ويكون أفضل من ذكره بالليل والنهار، وينظر الله إليه، ومن نظر الله تعالى إليه، لم يعذبه ومحيت عنه ذنوبه، ويكون له غرساً في الجنة، وأيضاً زوّجه الله تعالى من الحور العين اهـ.

هكذا في جواهر المعاني قال في رسالته. ومن مكفرات الذنوب سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله اعلي العظيم ملء ما علم وعدد ما علم وزنة ما علم، فإن المرة الواحدة منها، تكفّر الذنوب، وتؤمن العبد من عذاب الله تعالى. وقال في الرسالة التي أرسلها إلى بعض أحبائه من تجار فارس: واجعل في اليوم والليلة مائة مرة من قولك سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله ملء ما علم، وعدد ما علم، وزنة مع علم، فمرة واحدة من هذا التسبيح أفضل من استغراقك الليل والنهار في ذكر الله. اهـ.

قلت وهذه الأذكار هي الباقيات الصالحات عند جمهور المفسرين، وفضلها معلوم مشهور في الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦] ووردت أحاديث تدل على أن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هي الباقيات الصالحات. منها ما رواه الطبراني في كتاب الدعاء، عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كَلِمَاتٌ قُلْهنَّ قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهن، فَإِنَّهُنَّ البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ، وَإِنَّهُنَّ كَنْزُ الجنَّةِ**» قلت: وما هن يا رسول الله؟ قال: «**سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ لله وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله وَاللَّهُ أَكْبَرُ**»

رواه ابن ماجه، والمنذري، من طريق عمرو بن راشد، وأخرج الطبراني في كتاب الدعاء عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ مَنْ قَالَهُنَّ خَمْسَ مَرَّاتٍ أَعْطَاهُ اللهُ تَعَالَى خَمْسَ مَسَائِلَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْشِدْنِي وَارْزُقْنِي**» وأخرج أحمد بن حنبل، وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس، والترمذي، وحسنه، والمنذري عن رجل من بني سليم رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ لَيسَ لَهُنَّ عَدْلٌ مِنَ القَولِ وَهِيَ البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ سُبْحَانَ اللَّهِ نِصْفُ الإِيْمَانِ وَالحَمْدُ للهِ تَمْلأُ المِيزَانَ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَمْلأُ مَا بَينَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ عَدْلٌ**» أي مثل.

وأخرج النسائي، والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**خُذُوا جُنَّتَكُم مِنَ النَّارِ وَقُولُوا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَ يَومَ القِيَامَةِ مُقَدِّمَاتٌ وَمُعَقِّبَاتٌ وَمُجَنِّبَاتٌ وَهِيَ البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ مِن فَضَائِلِهَا أَنَّهَا أَحَبُّ الكَلَامِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَأَفْضَلُهُ عِنْدَهُ وَمُصْطَفَاهُ وَمَقَالِيدُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ**» وأخرج أحمد بن حنبل، عن سمرة بن جندب، أن رسول الله ﷺ قال: «**أَحَبُّ الكَلَامِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ**» لا يضرك بأيهن بدأت.

وأخرج أحمد بن حنبل عن سمرة بن جندب، أن رسول الله ﷺ قال: «**أَفْضَلُ الكَلَامِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ**» وأخرج الإمام أحمد، والحاكم، والضياء عن أبي سعيد وأبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنَ الكَلَامِ أَرْبَعَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللَّهُ أَكْبَر فَمَن قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ كُتِبَ لَهُ عِشْرُونَ حَسَنَةً وَحُطَّتْ عَنْهُ عِشْرُونَ خَطِيئَةً وَمَنْ قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ مِثْلُ ذَلِكَ وَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِثْلُ ذَلِكَ وَمَنْ قَالَ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ مِن قِبَلِ نَفْسِهِ كُتِبَ لَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَة وَحُطَّتْ عَنْهُ ثَلَاثُونَ خَطِيئَةً**».

وأخرج الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ لَكُمْ مِنَ الكَلَامِ أَرْبَعاً لَيسَ القُرْآن، وَهِيَ مِنَ القُرْآنِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ**».

وروى الحارث بن أسامة بسند منقطع عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سئل عثمان بن عفان رضي الله عنه عن مقاليد السموات والأرض فقال: قال رسول الله ﷺ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَقَالِيدُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ مِنْ كُنُوزِ العَرْشِ**» ومنها أنها تجزي عن القرآن أخرج البيهقي في الكبير وابن حبان في صحيحه، عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني لا أحسن شيئاً من القرآن، فعلمني ما يجزئني عنه قال: «**سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَر وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّة إِلَّا بِالله**» فذهب ثم رجع فقال هؤلاء لربي فما لي؟ فقال: «**قُلْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي وَعَافِنِي وَاعفُ عَنِّي**» فلما ولى الرجل قال رسول الله ﷺ: «**أَمَا هَذَا فَقَدْ مَلأَ يَدَهُ مِنَ الخَيْرِ**» رواه المنذري مختصراً، ومنها أنها تقوم مقام الصلاة النافلة أخرج سعيد بن منصور في سننه موقوفاً بسند رواته ثقاة، ومحمد بن نصر المروزي عن طارق بن شهاب قال: دخلت على سلمان رضي الله عنه في حصن بالقاسية، وهو يعالج علجة، على أن تصلي، ثم قال سلمان: ينزل الناس ثلاث منازل: فمنهم من له ولا عليه، ومنهم من عليه ولا له، ومنهم من لا له ولا عليه. فقلت: أي شيء له ولا عليه ومن عليه ولا له ومن لا عليه ولا له؟ فقال يا ابن أخي يغنم الرجل ظلمة الليل وغفلة الناس، فيقوم فيصلي، فهذا الذي له ولا عليه، ويغتنم الرجل ظلمة الليل وغفلة الناس، فيقوم فيسعى في معاصي الله عزَّ وجلَّ فهذا الذي عليه ولا له، وينام الرجل حتى يصبح فهذا الذي لا له ولا عليه. قال: فأعجبني ما سمعت منه، فقلت لأصحبنه فخرجت معه، فكنت لا أستطيع أن أفضله في عمله، حتى إذا كان الليل طرح لبدة فاتكأ عليها؛ وجئت فاتكأت إلى جنبه، وكانت لي ساعة من الليل أقومها قال: فاستيقظت فإذا هو نائم، وكان إذا قام من الليل قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، حتى إذا أقبل الفجر قام؛ فتوضأ ثم صلّى ركعات يسيرة، ثم جلس فصلينا فقلت: يا أبا عبد الله كانت لي ساعة من الليل أقومها، فلما استيقظت فإذا أنت نائم فقال: ما نمت الليلة قلت: رأيتك تذكر الله عزَّ وجلَّ قال ابن أخي: فإن تلك الصلاة فعليك بالقصد فإنه أفضل، رواه الطبراني، والمنذري.

وقال الشيخ نظام الدين الأربلي من توضأ وعنده أبواه وأستاذه أو شيخه، أو من يكون أفضل منه، فيترك

الركعتين ويقرأ آية الكرسي وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم فيجزئه. ومنها أن الصلاة كلها ذكر الله تعالى والباقيات الصالحات من أعظم ما فيها. قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ولذكر الله أكبر والصلاة مشتملة على التكبير والتسبيح، والتحميد والتهليل.

قال النووي إعلم أن الصلاة التي هي ركعتان يشرع فيها إحدى عشر تكبيرة، والتي هي ثلاث ركعات سبع عشرة تكبيرة، والتي هي أربع ركعات اثنان وعشرون تكبيرة، فإن كل ركعة خمس تكبيرات تكبيرة الركوع، وأربعة للسجدتين والرفع منهما، وتكبيرة الإحرام، وتكبيرة القيام من التشهد الأول، وإذا حسبت تكبيرات الفرائض والنوافل والرواتب، وغيرها من النوافل المشروعة في الأحوال والأغراض، مما هو خاص باليوم والليلة، وقفت على عدد كثير، وكذلك التسبيحات والتحميدات والتهليلات، ومنها أنها تقوم مقام الصدقة وتفضلها، وفي الصحيح أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون إن بكل تسبيحة صدقة، وبكل تكبيرة صدقة، وبكل صدقة تحميدة صدقة، وبكل تهليلة صدقة.

ومن حديث الطبراني لو أن رجلاً في حجرة دراهم يقسمها، وآخر يذكر الله تعالى لكان الذاكر أفضل، والصحيح أن هذا موقوف، وحديثه أيضاً من كبّر مائة وسبّح مائة وهلل مائة، كانت له خيراً من عشر رقاب يعتقها، ومن سبع بدنات ينحرها. وأخذ بقضية هذه الأحاديث جماعة من الصحابة والتابعين فقالوا: الذكر أفضل من الصدقة بعدده من المال، ويدل له أيضاً حديث أحمد، والنسائي أنه ﷺ قال لأم هانئ: «**قُولِي سُبْحَانَ اللَّهِ تَعَالَى مَائَةَ تَسْبِيحَةٍ فَإِنَّهَا تَعْدِلُ مَائَةَ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاْحْمَدِي اللَّهَ مَائَةَ تَحْمِيدَةٍ فَإِنَّهَا تَعْدِلُ مَائَةَ فَرَسٍ مُلْجَمَةٍ وَمُسْرَجَةٍ تَحْمِلِينَ عَلَيهَا فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى وَكَبِّرِي اللَّهَ مَائَةَ تَكْبِيرَةٍ فَإِنَّهَا تَعْدِلُ لَكِ مَائَةَ بَدَنَةٍ مُقَلَّدَةٍ مُتَقَبلة وَهَلِّلِي اللَّهَ تَعَالَى مَائَةَ تَهْلِيلَةٍ وَلَا أَحْسَبُهُ إِلَّا قَالَ تَمْلأُ مَا بَينَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَلَا يُرْفَعُ لأَحَدٍ يَومَئِذٍ مِثْلُ عَمَلِكِ، إِلَّا أَنْ يَأْتِي بِمِثْلِ مَا أَتَيتِ**».

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان، وابن حنبل بإسناد حسن، والترمذي، والحاكم، وصححه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُم وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُم، وَخَيرٌ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ، وَخَيرٌ مِن أَن لَو غَدَوْتُم إِلَى عَدُوِّكُم، فَضَرَبتُم رِقَابَهُم وَضَرَبُوا رقابكم؟**» قالوا: بلى يا رسول الله قال: «**فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً**» وأخرج مسدد بسند رواته ثقات عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، أحب إليّ من أن أنفق بعددهن في سبيل الله، ومنها أنها تقوم مقام الصوم وتفضله.

أخرج الشيخ أبو محمد بن حبان، وأبو منصور الديلمي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا سَبَّحْتَ وَلَا سَبَّحَ الأَنْبِيَاءُ قَبْلِي بِأَفْضَلَ مِنْ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكبر**» ومنها أنها تقوم مقام الحج، وذكر الله أفضل من الجهاد ورأس الذكر الباقيات الصالحات.

أخرج أبو منصور الديلمي في كتابه مسند الفردوس، عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاس اذْكُرُوا اللَّهَ عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَإِنَّهُ لَيسَ مِنْ شَيءٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا أَنْجَىٰ لِلْعَبْدِ مِنْ كُلِّ سَيِّئَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**».

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: «**الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**» قيل: ثم ماذا؟ قال: «**الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**» قال: ثم ماذا؟ قال: «**حَجٌّ مَبْرُورٌ**».

وأخرج الإمام أحمد بسند رجاله رجال الصحيح من ماعز رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ أنه سئل أي الأعمال أفضل؟ قال: «**الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ**» ثم حجة برة تفضل سائر الأعمال، كما بين مطلع الشمس إلى مغربها.

وذكر بعضهم عن مجاهد أن آدم عليه السلام طاف بالبيت، فلقيته الملائكة، ثم صافحته وسلمت عليه، وقالت: بر حجك يا آدم طف بهذا البيت، فإنّا قد طفنا قبلك بألفي عام، قال لهم آدم عليه السلام: ماذا كنتم تقولون في طوافكم؟ قالوا: كنا نقول سبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر قال آدم: وأنا أريد أن أقول أيضاً ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حج آدم عليه السلام فطاف بالبيت سبعاً، فلقيته الملائكة في الطواف فقالت: بر حجك يا آدم، إنا قد حججنا بهذا البيت قبلك بألف عام قال: فما تقولون في الطواف؟ قالوا: كنا نقول

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر قال آدم: فزيدوا فيها ولا حول ولا قوة إلا بالله. فزادت الملائكة فيها ذلك، ثم حج إبراهيم عليه السلام بعد بنائه البيت، فلقيته الملائكة في الطواف فسلموا عليه فقال لهم: ماذا تقولون في طوافكم؟ قالوا: كنا نقول قبل أبيك آدم سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فزاد أبوك ولا حول ولا قوة إلا بالله. فقال إبراهيم: زيدوا فيها العلي العظيم. فقالت الملائكة ذلك ومنها أنها تقوم مقام الجهاد وتفضله.

أخرج إسحاق بن راهوية موقوفاً، عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال: ما عمل آدمي عملاً أنجى له من عذاب الله أفضل من ذكر الله قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولو ضرب بسيفه قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ورواه أبو بكر بن أبي شيبة مرفوعاً، وعند عبد بن حميد بسند صحيح، ولفظه عن معاذ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا عَمِلَ ابنُ آدَمَ عَمَلاً أَنْجَىٰ لَهُ مِنَ النَّارِ مِنْ ذِكْرِ الله تَعَالَىٰ» قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله تعالى؟ قال: «وَلَا الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله تَضْرِبُ بِسَيفِكَ حَتَّى يَنْقَطِعَ ثُم تَضْرِبُ بِسَيفِكَ حَتَّى يَنْقَطِعَ قَالَهَا ثَلَاثاً» وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عبد الله يعني ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ: قال: «إِنَّ اللَّهَ قَسَّمَ بَيْنَكُم أَخْلَاقَكُم كَمَا قَسَّمَ بَيْنَكُم أَرْزَاقَكُم وَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِي المَالَ مَنْ يُحِب وَمَنْ لَا يُحِبُّ وَلَا يُعْطِي الإِيمان إِلَّا مَنْ يُحِب فَإِذَا أَحَبَّ الله عَبْداً أَعْطَاهُ الإِيْمَانَ فَمَنْ ضَنَّ بِالمَالِ أَنْ يُنْفِقَهُ وَهَابَ اللَّيلَ أَنْ يُكَابِدَهُ وَخَافَ العَدُوَّ أَنْ يُجَاهِدَهُ فَلْيُكْثِر مِنْ سُبْحَانَ الله وَالحَمْدُ لله وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله وَاللَّهُ أَكْبَرُ فَإِنَّهُنَّ مُتَقَدِّمَاتٌ وَمُتَجَنِّبَاتٌ وَمُتَعَقِّبَاتٌ وَهُنَّ البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ» رواه البيهقي ورواه الطبراني مختصراً، والمنذري قال وفي رفعه مقال، ومنها أنها من أثقل الأعمال في الميزان.

وفي الصحيح كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم. وأخرج أبو داود الطيالسي بسند فيه راو لم يسم عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال ﷺ: «بخ بخ خَمسٌ مَا أَثْقَلَهُنَّ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ لله وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهَ وَاللَّهُ أَكبر وَالوَلَدُ الصَّالِحُ يَمُوتُ فَيَحتَسِبُهُ وَالِدُهُ» وهكذا رواه أحمد بن حنبل، ومسدد لكن له شاهد صحيح عن أبي سالم.

وأخرج الطبراني في كتاب الدعاء، والبزار بإسناد حسن عن ثوبان رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بخ بخ خَمسٌ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي المِيزَانِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ لله وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَالوَلَدُ الصَّالِحُ يَتَوَفَّىٰ لِلْمَرْءِ المُسْلِمِ فَيَحْتَسِبُهُ» ومنها أنه من موجبات المغفرة أخرج سعيد بن منصور موقوفاً بسند رواته ثقات، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ لله وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، تَحَاتَّتْ خَطَايَاهُ كَمَا تَحَاتُّ وَرَقُ الأَشْجَارِ» أخرج الترمذي، وابن ماجه، عن أبي رافع رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ للعباس يا عم ألا أصلك ألا أحبك ألا أنفعك؟ قلت: بلى يا رسول الله قال: «يَا عَم صَلِّ أَربع رَكَعَاتٍ تَقرأُ فِي كُل رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الكِتَابِ وَسُورَة، فَإِذَا انْقَضَتِ القِرَاءَة، فَقُلْ اللَّهُ أَكْبَرُ وَالحَمْدُ لله وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله خَمسَ عَشْرَةَ مَرة قَبْلَ أَنْ تَرْكَعَ ثُم ارْكَعْ فَقُلْهَا عَشراً ثُم ارْفَعْ فَقُلْهَا عَشراً ثُم اسْجُد فَقُلْهَا عَشراً ثُمَّ ارْفَع فَقُلْهَا عَشراً ثُم اسْجُد الثَّانِيَة فَقُلهَا عَشراً ثُمَّ ارْفَعْ فَقُلهَا عَشراً قَبلَ أَنْ تَقُومَ فَذَلِكَ خَمسٌ وَسَبْعُونَ فِي كُل رَكْعَةٍ وَهِيَ ثَلَاثُمَائَة بِأَرْبَعِ رَكَعَاتٍ فَلو كَانَتْ ذُنُوبُكَ مِثْلَ رَمْلِ عَالِجٍ غَفَرَهَا اللَّهُ تَعَالَىٰ لَكَ» قال يا رسول الله من يستطيع أن يقولها: «قَالَ إِنْ لَمْ تَسْتَطِع أَنْ تَقُولَهَا فِي كُل يَوم، فَقُلْهَا فِي جُمْعَةٍ، وَإِنْ لَمْ تَستَطِع أَنْ تَقُولَهَا فِي جُمْعَة فَقُلهَا فِي شَهرٍ، فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ لَهُ حَتَّى قَالَ قُلْهَا فِي سَنَةٍ» قال الترمذي هذا حديث غريب.

ومنها: أنها من موجبات النجاة من النار أخرج أبو يعلى الموصلي، وأبو منصور الديلمي، عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا قَالَ العَبْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكبر صَدَّقَهُ رَبُّهُ فَقَالَ صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَأَنَا أَكْبَر فَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحدِي لَا شَرِيكَ لِي وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَهُ المُلكُ وَلَهُ الحَمْدُ قَالَ: صَدَقَ عَبدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لِي المُلْكُ وَلِي الحَمْدُ وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي» رواه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه.

وأما السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فمن بعض فضائله أن من داوم على قراءته مائة مرة في كل يوم لا يذوق سكرات الموت، وقد أخبرني سيدي محمد الغالي رضي الله تعالى عنه وأنا معه في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، أن الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به، كان يحض على ذلك والدوام عليه، ويقول: أن المداوم عليه لا يذوق مرارة الموت أصلاً اهـ.

شرح معاني الأذكار اللّازمة للطريقة

في شرح معاني الأذكار اللازمة للطريقة، لأن إحضار القلب عند الذكر مطلوب من الذاكر، والحضور لا يمكن إلّا بمعرفة معاني الأذكار، والحضور هو روح الأعمال، واحتياج الذاكر إلى معاني ما يذكر، إذاً أمر ضروري لا محالة، وحيث كان الأمر كذلك، ينبغي لنا أن نذكر شيئاً من معانيها فنقول: وبالله تعالى التوفيق، وهو الهادي بمنّه إلى سواء الطريق.

اعلم أن الوظيفة تشتمل على جميع الأذكار اللازمة للطريقة، فلنقتصر على ذكر معانيها فنقول: إن معنى الغفر في اللغة الستر الحاجز بين الشيئين، وغفران الله تعالى للعبد ستره إياه عن العقوبة، أو عن حالة يستحقّ بها العقوبة، ومعنى أستغفر الله أطلب من الله ستراً حاجزاً بيني وبين العقوبة أو بيني وبين حالة استحق بها العقوبة، وذلك الستر يعطيه الله تعالى للعبد على يد اسمه الغفار، ولذلك كانت مادة السؤال بلفظ الاستغفار، لأن العطاء الإلهي كما قال الحاتمي: لا يكون إلاّ على يد سادن من سدنة الأسماء. فتارة يعطي اسم الله يد اسم الرحمن، فيخلص العطاء الواصل إلى المُعطى له على يديه من الشوب، الذي لا يلائم الطبع في الوقت، أو لا ينيل الغرض الذي كان للمعطى له، فلا يلائمه في المآل، ويخلص أيضاً مما أشبه الشوب الغير الملائم، أو المهيل من موجبات بالكدورة الحالية والمآلية كلها، وتارة يُعطى اسم الله على يد الاسم الواسع، أو على يد الحكيم، فينظر في الأصلح في الوقت، أو على يد الوهاب، فيعطى لينعم، ولا يكون مع الوهاب تكليف المعطى، بعوض على ذلك العطاء من شكر باللسان، أو اعتقاد بالجنان، أو عمل بالأركان.

ووجوب شكر المنعم إنما هو لأجل عبودية المعطى له، لا لتكليف الواهب، أو على يد الجبار، فينظر في الموطن وما يستحقه، أو على يد الغفّار، فينظر المحل المعطى له، وما هو عليه من الأحوال. فإن كان على حالة يستحق بها العقوبة، فيستره الله سبحانه وتعالى بالاسم الغفار عن العقوبة، أو كان على حال لا يستحق بها العقوبة، فيسمى المعطى له معصوماً على التقدير الثاني، بشرط أن يكونَ من الأنبياء معتنى به على التقدير، ومحفوظاً على التقدير، بشرط أن يكون من الأولياء.

واعلم أن بعض هذه الأسماء المذكورة له، دخل في كل من الفعل والقبول كالرحمن، فإن كان من الاعطاء، وقابلية المحل له من مقتضيات الرحمة الرحمانية، وكذلك الحكيم فإن لكل واحدة منهما بحسب الحكمة، وكذلك الوهّاب، فإن الكل مواهبه، وظاهر أن الواسع يعمّ الكل بخلاف الجبار والغفار، لأن أثرهما الجبر والستر، فالجبار والغفار من حيث أنفسهما، لا يقتضيان إلاّ الفعل.

وإذا عرفت حكمة أمر الله عبده أن يسأله حصول هذا المطلب العظيم على يد اسمه الغفار المفهوم، من لفظ الاستغفار.

وإنما قال: أستغفر الله وعلق الفعل باسم الله، ولم يقل أستغفر الغفّار لوجهين.

أحدهما: أن المعطى في جميع هذه الصور هو الله أحد به جمع جميع الأسماء من حيث أنه خازن، وجامع لما هو مخزون عنده في خزائنه العلمية، التي هي حقائق الأشياء وأعيانها الثابتة المنتقشة بكل ما كان وما يكون، مما يخرج ما يكون مخزوناً عنده من الغيب إلى الشهادة، ومن القوة إلى الفعل، إلاّ بقدر معلوم ومقدار معين، على يد اسم خاص بذلك الأمر المخزون عنده المراد إعطاؤه. فأعطي كل شيء خلقه على يد الاسم العدل وإخوانه.

وثانيهما: أن الذاكر الذي أراد الشروع في الاستغفار، لما كان المطلوب في حقه الوقوف في مقام العبودية، التي هي إخلاص العبودية لله والتبري من الحظوظ، مع الاعتراف بالعجز والتقصير، وعدم توفية الربوبية حقها،

وسكون ذلك في القلب على ممر الساعات والزمان، ولا يتأتى له ذلك إلا إذا كان مستغرقاً في مشاهدة الله تعالى وفي مرتبة ألوهيته، ناسب تعليق فعل الاستغفار باسم الله المفهم مرتبة الألوهية، وهي عكوف الوجود على عبادته سبحانه وتعالى، بالخضوع تحت كبريائه وعظمته وجلاله، والتذلل لكمال عزّه، والخمود تحت قهره، بتسليم القياد إليه يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد لا منازع له في حكمه.

والله هو الذي خضع له الوجود كله بالعبادة والتذلل والخمود تحت قهره، والتصاغر لعظمته وكبريائه، وليس في الوجود شيء يشذّ عن هذا قاصيه ودانيه، فهو الإله الذي قهر جميع الموجودات بسطوته وقهره، وانفراده بعظمته وكبريائه وعلوه وجلاله.

ولهذا ناسب تعقيب الاسم المفهم مرتبة لعظمته تعالى بقوله العظيم، لأن العظمة أمر وجودي في ذاته فهو عظيم سبحانه وتعالى، لا يحل به الاحتقار بوجه من الوجوه، وكل من دونه إذا تبدت له عظمته ذاب ذلاً وتصاغراً، وصعق هيبة وإجلالاً له، والعظيم هو الذي لا نسبة لأحد معه في علو شأنه وجلالة قدره، ذاتاً وصفات وأسماء وأفعالاً، هو العلي في عظمته فوق كل عظمة لغيره، والعظيم في علوه على كل ما لا يليق بذاته، فكل توجه لا يشعر صاحبه بعظمة الربوبية، وذلة العبودية فيه تلاعب، فبذلك وقع الجواب عن عدم انتفاع كثير بأدعية وأذكار صحيحة الوعد بالاجابة، مجربة عند أهل الصدق والإخلاص.

ولما كان العبد لا يرى نفسه ولو بلغ ما بلغ، متأهلاً لأن يطلب من ربه إلا التخلي عن الرذائل، والتحلي بالفضائل، لعله يليق بخدمة ربه رب الأرض والسموات، والتحلي لا يحصل إلّا لمن وصل إلى أول المقامات، الذي هو مقام التوبة.

ومن كان هذا منظره، لا يفارق الاستغفار والاعتراف بالعجز، رجع إلى الاعتراف بالألوهية لله تعالى ثانياً، لعجزه عن الثبوت لمبادئ العظمة المفهومة من الاسم الأعظم، لأن من تبدت له عظمة الله تعالى، ذاب ذلاً وتصاغراً، وصعق هيبة وإجلالاً بقوله لا إله أي لا معبود بحق إلا هو، ولكنه لم يقدر أن يصرح باسم الجلالة فيقول الذي لا إله إلا هو. لأنه إما أن يكون من أهل البداية، أو من أهل النهاية، فإن كان من أهل البداية فتقدم الاسمين الشريفين اللذين هما اسم الله واسم العظيم يغني عن إعادة ذكر اسم الله، لظهور المذكور أو تعيينه عند الذكر تعيناً لا يقبل الاشتراك بالغير والسوي، فلم يبقَ له إلّا الترقي إلى مقام أعلى من ذلك المقام، كما هو المقصود الأعظم في الذكر، فلزم الانتقال من التصريح إلى الإضمار، لاستغراق الذكر في مشاهدة المذكور، ولذلك رجع من مرتبة الألوهية التي وصفها بالعظمة، إلى مرتبة الهوية، وهوية الحق كما في الإنسان الكامل غيبة، الذي لا يمكن ظهوره ولكن باعتبار جملة الأسماء والصفات، وكأنها إشارة إلى باطن الواحدية، لعدم اختصاصها باسم ونعت أو مرتبة، أو وصف أو مطلق ذات، بلا اعتبار اسماء وصفات، بل الهوية إشارة إلى جميع ذلك على سبيل الجملة والانفراد، وشأنها الإشعار بالبطون والغيبوبة، وهي مأخوذة من لفظة هو الذي للإشارة إلى الغائب، وهو في حق الله تعالى إشارة إلى كنه ذاته، باعتبار اسمائه وصفاته مع الفهم بغيبوبة ذلك قال ومن ذلك قولي: إن الهوية غيب ذات الواحد.

ومن المحال ظهورها في الشاهد فكأنها نعت، وقد وقعت عليّ شأن البطون وما لذا من جاحد

واعلم أن هذا اسم أخصّ من اسمه الله، وهو سر اسم الله، إلا ترى أن اسم الله ما دام هذا الاسم موجوداً فيه، كان له معنى يرجع به إلى الحق، وإذا فك منه بقيت أحرفه غير مفيدة لمعنى، وإذ حذفت الألف من اسم الله، يبقى لله ففيه الفائدة، وإذا حذفت اللام الأولى يبقى له فيه الفائدة، وإذا حذفت اللام الثانية، يبقى هو والأصل في هو أنها هاء واحدة بلا واو وما ألحقت به الواو، وإلّا من قبيل الاشباع والاستمرار العادي، جعلهما شيئاً واحداً فاسم هو أفضل الأسماء.

قال: اجتمعت ببعض أهل الله بمكة، زادها الله شرفاً في آخر سنة تسع وتسعين وسبعمائة، فذكر في الاسم الأعظم الذي قال النبي ﷺ إنه في آخر سورة البقرة، وأول سورة آل عمران. وقال: إنه كلمه وهو إن ذلك مستفاد من ظاهر كلام النبي ﷺ، لأن الهاء آخر قوله في سورة البقرة، والواو أول قوله وأول سورة آل عمران.

وهذا الكلام وإن كان مقبولاً فإني أجد للاسم الأعظم رائحة أخرى، وما أوردت ما قاله هذا العارف، إلّا تنبيهاً على شرف هذا الاسم، وكون الإشارة النبوية وقعت عليه من الجهة المذكورة إنه أعظم الاسماء.

واعلم أن هو عبارة عن حاضر في الذهن يرجع إليه بالإشارة من شاهد الحس، إلى غائب الخيال، وذلك الغائب لو كان غائباً عن الخيال، لما صح الإشارة إليه بلفظه، فلا تصح الإشارة بلفظه هو إلّا إلى الحاضر. ألا ترى أن الضمير لا يرجع إلّا إلى أقرب مذكور إما لفظاً وإما قرينة، وإما حالاً، كالشكل والقصة. وفائدة هذا أنه يقع الوجود المحض الذي لم يصح فيه عدم، ولا شيء به من العدم من الغيبوبة والفناء، لأن الغائب معدوم من الجهة التي لم يكن مشهوداً، فلا يصح هذا في المشار إليه بلفظة هو.

فعلم من هذا الكلام أن الهوية هي الوجود المحض الصريح المستوعب، لكل كمال وجودي شهودي، لكن الحكم على ما وقعت عليه بالغيبة، هو من أجل أن ذلك غير ممكن الاستيفاء، فلا يمكن استيفاؤه، ولا يدرك. فقيل: إن الهوية غيب لعدم الإدراك لها فافهم. لأن الحق ليس له غيب غير شهادته، ولا شهادة غير غيبة بخلاف الإنسان وكل مخلوق كذلك، فإن له شهادة وغيباً، لكن شهادته بوجه واعتبار، وغيبة من وجه باعتبار. وأما الحق فغيبه عين شهادته، وشهادته عين غيبه، فلا غيب عنده ولا شهادة، بل له في نفسه غيب يليق به، وشهادة تليق به، كما يعلم ذلك لنفسه، ولا يصّح تعقل ذلك لنا، إذ لا يعلم غيبه وشهادته على ما هو عليه إلّا هو سبحانه وتعالى، وإن كان من أهل النهاية فذاكره لذكر الحقيقة، الذي هو الغاية القصوى، وهو الذي إذا أخذ العبد فيه، أخذ من جميع دائرة حسه، فليس فوقه مرتبة.

وصاحب هذه المرتبة كلما قال استغفر الله العظيم يزداد استغراقاً، ثم يعقبه بقوله الذي لا إله إلا هو، لغلبه الهوية السارية في جميع الوجود عليه، فما يقدر أن ينطق باسمه لا هيبة وإجلالاً، ولولا أن الله تعالى يتفضل على كل واحد من أهل هذا المقام بمنه وكرمه، ويحفظ لهم أعمالهم الظاهرة والباطنة، شريعة وحقيقة في صحوهم ومحوهم، لما جرى على لسانه ذكر. فأحرى أن يقدر على أن يقول استغفر الله العظيم على الدوام، يصرح بهذين الاسمين العظيمين بفضله تعالى، أعقبهما باسمين من أسماء الجمال وهما: الحي القيوم حتى أجراهما على لسان الذاكر بقوله الحي القيوم، لأن فيهما تأثير في رفع داء الهم والكرب، لأن صفات الحياة متضمنة لجميع صفات الأفعال، وملزومة لها.

وصفة القيومية مستلزمة بجميع صفات الأفعال، لأن معنى القيوم الدائم القائم بتدبير الخلق، وحفظه على أحسن الأحوال وأجمعها. ولهذا كان الاسم الأعظم، الذي إذا به دُعِيَ أجاب، وإذا سئل به أعطى. وهو الاسم الحي القيوم في أحد الأقوال، والحياة التامة تضاد جميع الآلام والأسقام، ولهذا لما كملت حياة أهل الجنة، لم يلحقهم هم ولا غم، ولا حزن ولا شيء من الآفات.

فالتوسل بصفة الحياة والقيومية له تأثير في إزالة ما يضاد الحياة، ويضر بالأفعال. فلهذا الاسم الحي القيوم تأثير عظيم خاص في إجابة الدعوات، وكشف الكربات، ولهذا كان ﷺ إذا اجتهد في الدعاء قال: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ».

وبما قررناه، يظهر لك حكمة الإتيان بهذه الأسماء في هذا الاستغفار على هذا الترتيب العجيب، والله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وأما معاني صلاة الفاتح لما أغلق، ففي جواهر المعاني قوله: اللهم، أعلم أن هذه الكلمة تقولها العرب جرت في ألسنتها، أنها تخاطب الله تعالى بها في جميع أدعيتها، وهي جارية منهم مجرى الاستغاثة والتضرع، وهذا الابتهال، وطلب التعجيل في إجابة الدعاء، كأنه يقول عجلّ إجابتي أو عجلّ إغاثتي يا الله. هذا المراد بها عند العرب اهـ. ما في جواهر المعاني.

واعلم أن الصلاة في حق الله تعالى على نبيه ﷺ وصف قائم بذاته، على الحد الذي يليق بعظمته وجلاله، هو أمر فوق ما يدرك يعقل، فإن الوصف الوارد في حق كل موجود، وإن اشترك في اللفظ والاسم.

فالحقيقة مباينة في حق الموجودات، فالصلاة في حقنا عليه الصلاة والسلام، هي الألفاظ البارزة من ألسنتنا بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى، فيما ينبئ عن تعظيم نبيه ﷺ منا، وليست كصلاته سبحانه وتعالى على نبيه ﷺ، ولا تكيفّ صلاته.

ألا ترى السجود المعهود في حق الآدمي لله تعالى، لا يماثل سجود الجمادات والحيوانات والأشجار فرداً

فرداً. فإن كل واحدٍ من تلك الأفراد سجوداً يليق بحاله، فإن السجود في حق جميعها مماثل في الاسم والإطلاق، والحقيقة مفترقة في جميعا، وسجود كل واحد غير سجود الآخر، وأما صلاة الملائكة على النبي ﷺ، فتعلقها في حقهم، كتعلقها في حقنا على سيدنا محمد **أما سيادته** وتفضيله على جميع الخلق، فأشهر من نار على علم، وأظهر من الشمس وقت الظهيرة، من غير سحاب صيفاً **ويكفي** في تبيين سيادته شهادة الله تعالى، أنه بعثه ﷺ رحمة للعالمين حيث قال جلّ وعزّ من قائل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ويكفي أيضاً في بيان سيادته اختصاصاته بالشفاعة العظمى، في الموقف الأكبر من بين الخلائق، ولم ينازعه في هذه المرتبة أحد من أكابر الرسل عليه وعليهم من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام.

وإلى هذا أشرت بقولي في قصيدتي التي مدحته بها ﷺ بأسماء سور القرآن كلها حيث قلت فيها:

نهضت وقت ركون الكون جاثية ... إلى الشفاعة دون الخوف والكيد

كفته خيراً على أهل السماء ... وأهل الأرض قاف وأحقاف لذي أود

ويكفي في سيادته قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] وقوله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] من غير زيادة قيد.

وأما من زعم أنه يطيع الله تعالى من غير أن يطيع خليفته محمداً ﷺ، فقد خسر مع الخاسرين، وهلك مع الهالكين، ولا يطيع الله تعالى أحد، حتى يطيع محمداً ﷺ. وأما من أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله تعالى.

وإلى هذا يشير ما رُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه قال: يا رسول الله من فضيلتك عند الله تعالى أن جعل طاعتك طاعته. فقال: «مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ» اهـ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] أي إنما يبايعون الله بمبايعتهم إياك، يد الله فوق أيديهم يريد عند البيعة، لأن يد الرسول هي النائبة عن الله تعالى.

ويكفي في بيان سيادته ﷺ قوله: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخرَ» وقوله ﷺ: «كُنتُ نَبِياً وَآدَمُ بَيْنَ المَاءِ وَالطِّين» وقوله ﷺ: «آدَم فَمَنْ دُونَه مِنَ الأَنْبِيَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ تَحتَ لِوَائِي» وقوله ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْض» وسيأتي إن شاء الله تعالى في أثناء تفسير ألفاظ صلاة الفاتح لما أغلق.

وتفسير ألفاظ جوهرة الكمال، ما ينبه على سيادته وعلو قدره، إن شاء الله تعالى الفاتح لما أغلق من صور الأكوان، فإنها كانت مغلقة في حجاب البطون وصورة العدم، وفتحت مغاليقها بسبب وجوده ﷺ، وخرجت من صورة العدم إلى صورة الوجود، ومن حجابية البطون إلى نفسها في عالم الظهور، إذ لولا هو ما خلق الله موجوداً، ولا أخرجه من العدم إلى الوجود، فهذا أحد معانيه.

والثاني أنه فتح مغاليق أبواب الرحمة الإلهية، وبسببه انفتحت على الخلق، ولولا أن الله تعالى خلق سيدنا محمداً ﷺ ما رحم مخلوقاً، فالرحمة من الله تعالى لخلقه بسبب نهيه ﷺ.

والثالث من معانيه كانت القلوب مغلقة على الشرك مملوءة به، ولم يجد الإيمان مدخلاً لها، ففتحها بدعوته ﷺ حتى دخلها الإيمان، وطهرها من الشرك، وامتلأت بالإيمان والحكمة اهـ.

والمعنى أنه فتح الله تعالى على عباده أنواع الخيرات، وأبواب السعادة الدنيوية والآخروية، أو بيّن لأمته ما أوحى إليه بتفسيره وتيسيره وإيضاحه، أو فتح بحكمته ما أغلق أي التبس وأنبهم، أو فتح النبوة أو الأنبياء أو النور، فأول ما خلق الله تعالى نوره، أو باب الشفاعة، أو باب الجنة، ولا تفتح لأحد قبله اهـ. من مطالع المسرات.

قال شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه قوله: والخاتم لما سبق من النبوة والرسالة، لأنه ختمها وأغلق بابها ﷺ، فلا مطمع لأحد فيها بعده.

وكذا الخاتم لما سبق من صور التجلّيات الإلهية، التي تجلّى الحق سبحانه وتعالى بصورها في عالم الظهور، لأنه ﷺ أول موجود أوجده الله تعالى في العالم من حجاب البطون، وصورة العماء الرباني، ثم ما زال يبسط صورة العالم بعدها في ظهور أجناسها بالترتيب القائم على المشيئة الربانية، جنساً بعد جنس إلى أن كان آخر ما تجلى به في عالم الظهور، الصورة الآدمية على صورته ﷺ، وهو المراد بالصورة الآدمية.

فكما افتتح به ظهور الوجود كذلك، أغلق به ظهور صور الموجودات ﷺ وعلى آله.

وبعبارة قال رضي الله تعالى عنه: أول موجود أوجده الله تعالى من حضرة الغيب، هو روح سيدنا محمد ﷺ، ثم نسل الله تعالى أرواح العالم من روحه ﷺ، والروح ههنا الكيفية التي بها مادة الحياة في الأجساد، وخلق من روحه ﷺ الأجسام النورانية كالملائكة ومن ضاهاهم.

وأما الأجسام الكثيفة الظلمانية، فإنها خلقت من النسبة الثانية مع روحه ﷺ، فإن لروحه ﷺ نسبتين أفاضهما على الوجود.

فالنسبة الأولى نسبة النور المحض. ومنه خلقت الأرواح كلها، والأجسام النورانية التي لا ظلمة فيها.

والنسبة الثانية من نسبة روحه ﷺ نسبة الظلام، ومن هذه النسبة خلق الأجسام الظلمانية كالشياطين، وسائر الأجسام الكثيفة، والجحيم ودرجاتها كما أن الجنة وجميع درجاتها، خلقت من النسبة النورانية، فهذه نسبة العالم كله إلى روحه ﷺ **قوله**: «**ناصِر الحَقّ بِالحَق**» قال رضي الله تعالى عنه في شرح ياقوتة الحقائق: أن الحق في اللفظين هو الله تعالى، ومعناه أن نصر الله تعالى بالله سبحانه نهض إلى نصرة الله تعالى، حيث توّجه إليه أمر الله تعالى بالنصرة له، فنهض مسرعاً إلى نصرة الله تعالى بالله تعالى، اعتماداً وحولاً وقوة، واستناداً واضطراراً إلى الله سبحانه وتعالى وقياماً به على كل شيء، فهذا هو الوجه الأول. والوجه الثاني إن الحق في اللفظ الأول هو دين الله، الذي أمر الله تعالى بتبليغه وإقامته، وهو دين الإسلام ونصره بالحق أداة وآلة، يعني أنه لم ينصر الإسلام بباطل ولا تحيّل ولا خديعة، بل نهض إلى نصرة دين الإسلام بحال، يعطي التصريح بالحق تصريحاً لا يمازجه وجه من الباطل، فما يزال كذلك حتى تمكن دينه وشرعه في الأرض اهـ.

ويحتمل أن يكون المراد بالحق القرآن قاله في مطالع المسرات **قوله والهادي إلى صراطك المستقيم** معناه أنه ﷺ هو الذي يهدي جميع عباد الله تعالى إلى دينه القويم، الذي لا تبديل فيه ولا تغيير، ولا زيادة ولا نقصان. كما قال في حقه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣].

والصراط المستقيم هو النبي ﷺ، وسمي به لكونه طريقاً مورواداً إلى الحق لا وصول لأحد إلى الحضرة القدسية، وذوق أسرارها، والابتهاج بأنوارها، إلّا بالسلوك عليه ﷺ، وهو باب الله الأعظم، وهو الصراط المستقيم إلى الله تعالى، فمن رام من السالكين الوصول إلى الله تعالى في حضرة جلاله وقدسه، معرضاً عن حبيبه ﷺ، طرد ولعن وسدت عليه الطرق والأبواب، وردّ بعصا الأدب إلى اصطبل الدواب.

وقوله وعلى آله: أي صلِّ على آل النبي طلب المصلي من الله أن يصلي على آل رسوله ﷺ.

وقوله: **حق قدره ومقداره العظيم** معناه أن المصلي طلب من الله تعالى أن يصلّي على نبيه ورسوله ﷺ وعلى آله قدر قدره، ومقداره العظيم عنده تعالى، وقوله قدره: يصح أن تكون الدال المهملة محركة ومضمومة أو ساكنة، وفي القاموس القدر محركة القضاء والحاكم ومبلغ الشيء، ويضم كالمقدار إلى أن قال: وما قدّروا الله حق قدره ما عظموه حق تعظيمه، وقدرت الثواب، فالقدر جاء على المقدار اهـ.

قلت: قد حصل لنا من الكلام أن القدر والمقدار بمعنى واحد، وإن القدر والمقدار في هذا المحل يصلح أن يكون بمعنى مبلغ الشيء وبمعنى الغنى، فمعنى الصلاة اللهم صلِّ على سيدنا محمد الخ صلاة يكون مبلغها على قدر مبلغ رسول الله ﷺ، أو اللهم صلِّ على سيدنا محمد الفاتح الخ، صلاة تساوي وتطابق غناه، الذي أغنيته بك، ثم بما منحته به من سبوغ فضلك، وكمال طولك كما قلت في محكم كتابك، وكان فضل الله عليك عظيماً، ولسوف يعطيك ربك فترضى، أو اللهم صلِّ على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق الخ صلاة تساوي عظمة رسولك، أو اللهم

صلِّ على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق الخ صلاة إذا قيست بمرتبة رسولك ﷺ تكون مقايسة لها.

وفائدة الكلام أن المصلي على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، طلب من الله تعالى أن يصلي على رسوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم صلاة بالغة مبلغ رسوله، مطابقة لغناه ﷺ بربه، ثم بما منحه به مما لا يعلم قدره، إلا هو ربه، مساوية لعظمته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، مقايسة لرتبته ﷺ وعلو قدره ومكانته وخطورته عنده.

فلنذكر هنا بعض ما ينبه على علو قدره ومرتبته وحظوته عند ربه، وغناه به ﷺ فنقول: وبالله تعالى التوفيق، وهو الهادي بمنّه إلى سواء الطريق، اعلم أن علو شأنه وجلالة قدره وعظمته، وارتفاع مكانته على جميع خلق الله تعالى وغناه ﷺ بربه سبحانه تعالى مما شاع وذاع وعلم وكيف لا وهو ﷺ السبب في وجود كل موجودٍ من الخلق، ومن نوره كان كل نوره وهو الرحمة المهداة للخلق، وأنه رحمة الأولين والآخرين، وهداية الخلق أجمعين، إنما هي منه ومن أجله.

لأنه ﷺ هو الأنموذج الجامع في إفاضة الوجود على جميع الوجود، فإنه لولا وجوده ﷺ لما كان وجود الموجود من المخلوقات فإنّ وجود كل موجود من ذوات الوجود، متوقف على أسبقية وجوده ﷺ من وجود ذلك الموجود بإفاضة، فإنّه لولا هو ﷺ ما خلق شيء من الأكوان، ولا رحم شيء منها إلا بالوجود، ولا بإفاضة الرحمة.

فإنّ إفاضة الوجود على جميع الأكوان مفاضة من ذاته الكريمة ﷺ، فبان ذلك أن الفيض من ذاته ينقسم إلى رحمتين:

الرحمة الأولى: إفاضة الوجود على جميع الأكوان، حتى خرجت من العدم إلى الوجود.

والرحمة الثانية: إفاضة فيض الرحمة الإلهية على جميعها، من جملة الأرزاق والمواهب والمنافع والمنح من العلم بصفات الله تعالى، وأسماء وكمالات ألوهيته وبأحوال الكون وأسراره ومنافعه ومضاره، وبالأحكام الإلهية أمراً ونهياً. فبذلك يدوم تمتعها بالوجود. فإذا علمت هذا، علمت أنه صلى الله عليه وآله وسلم عين الرحمة الربانية، لأن جميع الوجود رحم بالوجود بوجوده ﷺ، ومن فيض جوده أيضاً، رحم جميع الوجود.

وفي الإبريز للشيخ أحمد بن المبارك عن شيخه سيدي عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، أن أول ما خلق الله نور محمد ﷺ، ثم خلق منه القلم والحجب السبعين وملائكتها، ثم خلق اللوح، ثم قبل كماله وانعقاده، خلق العرش والأرواح والجنة والنار والبرزخ. أما العرش فإنه خلقه تعالى من نور، وخلق ذلك النور من النور المكرم، وهو أي النور المكرم نور نبينا محمد ﷺ، وخلقه أي العرش من ياقوتة عظيمة لا يقاس قدرها وعظمها، وخلق في وسط هذه الياقوته جوهرة عظيمة، فصار مجموع الياقوتة والجوهرة كبيضة، بياضها هو الياقوتة، وأصفرها هو الجوهرة، ثم إنّ الله تعالى أمدّ تلك الجوهرة وسقاها بنوره ﷺ، فجعل يخرق الياقوتة، ويسقي الجوهرة، فسقاها مرة ثم مرة، إلى أن انتهى إلى سبع مرات، فسالت الجوهرة بإذن الله تعالى، فرجعت ماء، ونزلت إلى أسفل الياقوتة التي هي العرش، ثم إن النور المكرم الذي خرق العرش إلى الجوهرة التي سالت ماء لم يرجع، فخلق الله منه الملائكة ثمانية وهم حملة العرش، فخلقهم من صفاته، وخلق من ثقله الريح، وله قوة وجهد عظيم، فأمرها تعالى أن تنزلت تحت الماء فكنت تحته، فحملته، ثم جعلت تحوم، وجعل البرد يقوى في الماء، فأراد أن يرجع إلى أصله ويجمد، فلم تدعه الريح، بل جعلت تكسر شقوقه التي تجمد، وجعلت تلك الشقوق تنعقد ويدخلها الثفل والنتونة، وشقوق تزيد على شقوق، ثم جعلت تكبر وتتسع، وذهبت إلى جهات سبع وأماكن، فخلق الله منهن الأرضين السبع، ودخل الماء بينها البحور.

وجعل الدخان يتصاعد من الماء لقوة جهد الريح، ثم جعل يتراكم، فخلق منه السموات السبع، ثم جعلت الريح تحوم حومة عظيمة على عادتها أولاً وآخراً، فجعلت النار تزيد في الهواء من قوة خرق الريح للماء والهواء، وكلما زندت نار أخذتها الملائكة وذهبت بها إلى محل جهنم اليوم فذلك أصل جهنم.

فالشقوق التي تكونت منها الأرضون تركوها على حالها، والضباب الذي تكونت منه السموات تركوه على حاله أيضاً، والنار التي زندت في الهواء أخذوها ونقلوها إلى محل آخر، لأنهم لو تركوها لأكلت الشقوق التي منها الأرضون السبع، والضباب الذي منه السموات السبع، بل وتأكل الماء وتشربه بالكلية لقوة جهد الريح، ثم إن الله

خلق ملائكة الأرضين من نوره ﷺ، وأمرهم أن يعبدوه عليها، وخلق ملائكة السموات من نوره ﷺ، وأمرهم أن يعبدوه عليها وما الأرواح والجنة إلّا مواضع منها، فإنها أيضاً خلقت من نور، وخلق ذلك النور من نوره ﷺ.

وأما البرزخ فنصفه الأعلى من نوره ﷺ فخرج من هذا أن القلم واللوح، ونصف البرزخ والحجب السبعين، وجميع ملائكتها، وجميع ملائكة السموات والأرض كلها خلقت من نوره ﷺ بلا واسطة، أن العرش والماء والجنة والأرواح، خلقت من نور، خلق من نوره ﷺ كذا في الإبريز.

وأما القلم، فإنه سُقي سبع مرات سقياً عظيماً وهو أعظم المخلوقات، بحيث أنه لو كشف نوره لجرم الأرض لتدكدكت وصارت رميماً، وكذا الماء فإنه سقي سبع مرات لكن ليس كسقي القلم، وأما الحجب السبعون، فإنها في سقي دائم.

وأما العرش فإنه سقي مرتين، مرة في بدء خلقه، ومرة عند تمام خلقه لتستمسك ذاته. وكذا الجنة فإنها سقيت مرتين مرة في بدء خلقها، ومرة بعد تمام خلقها، لتستمسك ذاتها. وأما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكذا سائر المؤمنين من الأمم الماضية ومن هذه الأمة، فإنهم سقوا ثمان مرات، **الأولى**: في عالم الأرواح حين خلق الله تعالى نور الأرواح جملة، فسقاه **الثانية**: حين جعل يصور منه الأرواح، فعند تصوير كل روح سقاها بنوره ﷺ **الثالثة**: يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فإن كل من ألباب الله تعالى من أرواح المؤمنين والأنبياء عليهم الصلاة والسلام سُقي من نوره ﷺ.

لكن منهم من سقيى كثيراً، ومنهم من سقي قليلاً، فمن هنا وقع التفاوت بين المؤمنين، حتى كان منهم أولياء وغيرهم.

وأما أرواح الكفار فإنها كرهت شرب ذلك النور وامتنعت منه، فلما رأت ما وقع للأرواح التي شربت منه من السعادة الأبدية، والارتقاءات السرمدية، ندمت وطلبت سقياً فسقيت من الظلام والعياذ بالله. **الرابعة**: عند تصويره في بطن أمه، وتركت مفاصله وشق بصره، فإن ذاته تسقى من النور الكريم لتليين مفاصله، وتفتيح أسماعها وأبصارها، ولولا ذلك ما لانت مفاصله. **الخامسة**: عند خروجه من بطن أمه فإنه يُسقى من النور الكريم ليلهم الأكل من فمه، ولولا ذلك ما أكل من فمه أبداً. **السادسة**: عند التقامه ثدي أمه أول رضعة، فإنه سُقي من النور الكريم أيضاً. **السابعة**: عند نفخ الروح فيه، فإنه لولا سقي الذات بالنور الكريم ما دخلت فيها الروح أبداً.

ومع ذلك فلا تدخل فيها إلا بكلفة عظيمة وتعب، ويحصل للملائكة معها، ولولا أمر الله تعالى لها ومعرفتها به، ما قدر ملك على إدخالها في الذات.

وسمعته رضي الله تعالى عنه مرة أخرى يقول مثل الملائكة، الذين يريدون أن يدخلوا الروح في الذات كعبيد صغار لملك يرسلها إلى الباشا العظيم، ليدخلوه إلى السجن، فإذا نظرنا إلى الغلمان الصغار، وإلى الباشا العظيم، وجدناهم لا يقدرون على معالجة الباشا في أمر من الأمور. وإذا نظرنا إلى الملك الذي أرسلهم، وأنه الحاكم في الباشا وغيره، حكمنا بأنه يجب أن يذل لهم الباشا وغيره.

وإذا أرادوا إدخالها في الذات، حصل لهم كرب عظيم، وانزعاجات كثيرة، وتجعل ترغرغ بصوت عظيم، فلا يعلم ما نزل بها إلّا الله تعالى والله أعلم. **الثامنة**: عند تصويره عند البعث، فإنه يسقى من النور الكريم لتستمسك ذاته. قال رضي الله تعالى عنه: فهذا السقي في هذه المرات الثمان اشترك فيه الأنبياء والمؤمنون من سائر الأمم، ومن هذه الأمة، ولكن الفرق حاصل، فإنما سقى به الأنبياء عليهم الصلام والسلام قدر لا يطيقه غيرهم، فلذلك حازوا درجة النبوة والرسالة.

وأما غيرهم فكل سقي بقدر طاقته، وأما الفرق بين سقي هذه الأمة الشريفة، وبين سقي غيرها من سائر الأمم، فهو أن هذه الأمة الشريفة سقيت من النور الكريم، بعد أن دخل في الذات الطاهرة، وهي ذاته ﷺ، فحصل له من الكمال ما لا يكيف ولا يطاق، لأن النور الكريم أخذ سر روحه الطاهرة، وسر ذاته الطاهرة ﷺ، بخلاف سائر الأمم، فإن النور في سقيها، إنما أخذ من سر الروح فقط.

فلهذا كان المؤمنون من هذه الأمة الشريفة كملاً وعدولاً وسطاً. وكانت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، ولله الحمد والشكر قال: قال رضي الله تعالى عنه: وكذا سائر المخلوقات سقيت من النور الكريم، ولولا النور الكريم الذي فيه ما انتفع أحد منها بشيء. قال رضي الله تعالى عنه: ولما نزل سيدنا آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام إلى الأرض، كانت الأشجار تتساقط ثمارها في أول ظهورها، ولما أراد الله تثميرها من نوره الكريم ﷺ، فمن ذلك اليوم جعلت تثمر.

ولقد كانت قبل ذلك كلها ذكاراً تنفخ، ثم تتساقط، ولولا نوره ﷺ في ذوات الكافرين، فإنها سقيت به عند تصويرها في البطون وعند نفخ الروح، وعند الخروج، وعند الرضاع لخرجت إليهم جهنم وأكلتهم أكلاً، ولا تخرج إليهم في الآخرة وتأكلهم، حتى ينزع منهم ذلك النور الذي صلحت به ذواتهم والله تعالى أعلم.

وسمعته رضي الله عنه مرة أخرى يقول: لما خلق الله تعالى النور المكرم، وخلق بعده القلم والعرش، واللوح والبرزخ والجنة والملائكة سكان العرش والجنة والحجب قال العرش: يا رب لِمَ خلقتني؟ فقال الله تعالى: لأجعلك حجاباً تحجب أحبابي من أنوار الحجب التي فوقك، فإنهم لا يطيقونها، لأني أخلقهم من تراب، ولم يكن في ذلك الوقت أعداء ولا دارهم، التي هي جهنم، فظن الملائكة أن أحبابه الذين يخلقهم الله تعالى من تراب، يخلقهم في الجنة، ويسكنهم فيها ويحجبهم بالعرش، ثم خلق الله تعالى نور الأرواح جملة، فسقاها من النور المكرم، ثم ميزّه تعالى قطعاً قطعاً، فصوّر من كل قطعة روحاً من الأرواح وسقاهم عند التصوير من النور المكرم أيضاً، ثم بقيت الأرواح على ذلك مدة، ومنهم من استحلى ذلك الشراب، ومنه من لم يستحله.

فلما أراد الله تعالى أن يميّز أحبابه من أعدائه، وأن يخلق لأعدائه دارهم، التي هي جهنم جمع الأرواح وقال لهم: ألست بربكم؟ فمن استحلى ذلك النور وكانت منه إليه رقة وحنو عليه، أجاب محبة ورضا، ومن لم يستحله أجاب كرهاً وخوفاً، فظهر الظلام الذي هو أصل جهنم، فجعل الظلام يزيد في كل لحظة، وجعل النور أيضاً يزيد في كل لحظة، فعند ذلك علموا قدر النور المكرم، حيث رأوا من لم يستحله استوجب الغضب، وخلقت جهنم من أجلهم والله تعالى أعلم.

وفيه أنه قال مرة أخرى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إن سقوا من نوره لم يشربوه بتمامه، بل كل واحد منهم شرب منه ما يناسبه وكتب له، فإن النور المكرم ذو ألوان كثيرة، وأحوال عديدة، واقسام كثيرة فكل واحد شرب لوناً خاصاً ونوعاً خاصاً قال: قال رضي الله تعالى عنه فسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام شرب من النور المكرم، فحصل له مقام الغربة، وهو مقام يحمل صاحبه على السياحة، وعدم القرار في موضع واحد وسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، شرب من النور المكرم، فحصل له مقام الرحمة والتواضع مع المشاهدة الكاملة، فتراه إذا تكلم مع أحد يخاطبه كابن ويكلمه بتواضع عظيم، فيظن المتكلم أنه يتواضع له، وهو إنما يتواضع لله عزَّ وجلَّ لقوة مشاهدته، وسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام شرب من النور المكرم، فحصل له مقام مشاهدة الحق سبحانه في نعمه وخيراته وعطاياه التي لا يقدر قدرها، وهكذا سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والملائكة الكرام والله تعالى أعلم.

وفيه إنما ظهر الخير لأهله ببركته ﷺ، وأهل الخير هم الملائكة والأنبياء والأولياء وعامة المؤمنين قال: فقلت: وكيف يفرق بينهم؟ فقال رضي الله تعالى عنه: الملائكة، وأنهم من النور وأرواحهم من نور، وبين الروح والذات نور آخر هو شراب ذواتهم وكذا الأولياء، غير أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام زادوا عليهم بدرجة النبوة التي لا تكيف ولا تطاق.

وأما عوام المؤمنين فلهم ذوات ترابية، وأرواح نورانية ولذواتهم شبه عرق من ذلك النور الذي للأولياء والأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقلت: وما نسبة هذه الأنوار ومن نور نبينا محمد ﷺ، وكيف استمدادها منه فضرب رضي الله عنه مثلاً عاصياً على عادته وقال: كمن جوع جملة من القطط مدة، حتى اشتاقوا للأكل اشتياقاً كثيراً، ثم طرح خبزة بينهم، فجعلوا يأكلون منها أكلاً حثيثاً، والخبزة لا ينقص منها قلامة ظفر.

فكذا نوره ﷺ، تستمد منه العوالم ولا ينقص منه شيء، والحق سبحانه وتعالى يمده بالزيادة دائماً، ولا تظهر فيه الزيادة، بأن يتسع فراغها، بل الزيادة باطنة فيه لا تظهر أبداً، كما أن النقص لا يظهر.

فهذا النور المكرم تستمد منه الملائكة والأنبياء والأولياء والمؤمنون، والمدد مختلف كما سبق والله تعالى أعلم.

وفيه وسألته رضي الله عنه عن كلام الإحياء في كتاب التفكر، حيث قال الغزالي: إن سيدنا جبريل أعلم من سيد الأولين والآخرين ﷺ.

فقال لي رضي الله عنه، لو عاش سيدنا جبريل مائة ألف عام إلى مائة ألف عام إلى ما لا نهاية له، ما أدرك ربعاً من معرفة النبي ﷺ، ولا من علمه بربه، وكيف يمكن أن يكون سيدنا جبريل أعلم، وهو إنما خلق من نور النبي ﷺ؟ فهو في جميع الملائكة بعض نوره ﷺ، وجميعهم وجميع المخلوقات يستمدون المعرفة منه ﷺ. وقد كان الحبيب مع حبيبه عزَّ وجلَّ لا جبريل ولا غيره، واستمد ﷺ من ربه إذ ذاك ما يليق بمنصبه الكريم، وإجلاله وعظمته مع حبيبه ﷺ، ثم بعد ذلك بمدة مديدة، جعل تعالى يخلق من نوره الكريم جبريل وغيره من الملائكة عليهم الصلاة والسلام.

قال رضي الله عنه: وجبريل وجميع الملائكة وجميع الأولياء أرباب الفتح، حتى الجن يعلمون أن سيدنا جبريل عليه السلام حصلت له مقامات في المعرفة وغيرها ببركته وصحبته له ﷺ، بحيث لو عاش سيدنا جبريل عليه السلام طول عمره، ولم يصحب سيد الوجود ﷺ وسعى في تحصيلها، وبذل المجهود والطاقة ما حصل له مقام واحد منها، فالنفع الذي حصل له من النبي ﷺ لا يعرفه إلّا هو، ومن فتح الله عليه قال: قال رضي الله تعالى عنه: وسيدنا جبريل، إنما خلق لخدمة النبي ﷺ، وليكون من جملة حفظة ذاته الشريفة ﷺ ونيسة له، إذ هو ﷺ سرّ الله من هذا الوجود، وجميع الموجودات تستمد منه، فيحتاج إلى مشاهدتها، وذاته الشريفة خلقت من تراب كذوات بني آدم، فهي لا تألف إلّا من يشاكلها، فإذا شاهد ما لا يشاكله آنسه جبريل.

ثم قال: ذكر لنا رضي الله تعالى عنه، أن صور الملائكة تخلع هذه الذات وتدهش منها، لكونها على صورة لا تعرف مع كثرة الأيدي والأرجل والرؤوس والوجوه، وكونها على سعة عظيمة، بحيث تملأ ما بين الخافقين قال رضي الله تعالى عنه: ولا يعلم ذلك إلا من فتح الله عليه فكان سيدنا جبريل عليه السلام ونيسة للذات الترابية الشريفة في أمثال هذه الأمور.

وأما روحه الشريفة ﷺ فإنها لا تهاب شيئاً من هذه الصور ولا من غيرها، لأنها عارفة بالجميع قال: فقلت: ولِمَ كانت الروح الشريفة لا تكفي في الونيسة فقال: رضي الله تعالى عنه، لأنه الذات لا تشاهدها منفصلة عنها، والوحدانية لله تعالى وحده، لا يطيق الدوام عليها إلا ذاته تعالى، ومن عداه شفع يحب الشفع ويميل إليه قال: قال رضي الله تعالى عنه وسيدنا جبريل، إنما كان ونيسه فيما تطيقه ذاته، ويعرفه مما هو تحت سدرة المنتهى. وأما ما هو فوق ذلك من الحجب السبعين والملائكة الذين فيها، فإنه لم يكن ونيسه في ذلك، لأنه أي سيدنا جبريل عليه السلام لا يطيق مشاهدة ما فوق سدرة المنتهى لقوة الأنوار.

ولهذا ذهب ﷺ في قطع تلك الحجب وحده، ولم يذهب معه جبريل عليه السلام، وطلب منه الذهاب معه فقال: لا أطيقه وإنما تطقه أنت، الذي قواك الله تعالى قال: وتكلمت معه في أمر الوحي، وكيفية تلقي النبي ﷺ وهل يتلقاه بواسطة جبريل كما هو ظاهر كثير من الآي أولاً، فأتى فيه بكلام لا تطيقه العقول، ولا ينبغي كتبه والله تعالى أعلم.

وفيه أن الله تعالى لما أراد إخراج بركات الأرض وأسرارها، مثل ما فيها من العيون والآبار والأنهار والأشجار والثمار والأشجار، وأرسل سبعين ألف ملك، إلى سبعين ألف ملك، إلى سبعين ألف ملك، ثلاث سبعينات من الألوف، فنزلوا يطوفون في الأرض، فالسبعون الأولى يذكرون اسم النبي ﷺ، ومرادنا بالاسم العالي، والسبعون الثانية يذكرون قربه ﷺ من ربه عزَّ وجلَّ ومنزلته منه، والسبعون الثالثة تصلي عليه ﷺ ونوره ﷺ مع الطوائف الثلاث، فتكونت الكائنات ببركة ذكر اسمه ﷺ، وحضوره بينها، ومشاهدتها قربه ﷺ من ربه عزَّ وجلَّ.

قال: وذكروه على الأرض فاستقرت، وعلى السموات فاستقلت، وعلى مفاصل ذات ابن آدم فلانت، بإذن الله تعالى، وعلى مواضع عينيه ففتحت الأنوار التي فيها، فهذا معنى قوله انشقت منه الأسرار فقلت: هذا معنى قول صاحب دلائل الخيرات وبالاسم الذي وضعته على الليل فأظلم، وعلى النهار فاستنار، وعلى السموات فاستقلت، وعلى الأرض فاستقرت، وعلى الجبال فرست، وعلى البحار فجرت، وعلى العيون فنبعت، وعلى السحاب فأمطرت. فقال

رضي الله تعالى عنه: نعم ذلك الاسم هو اسم نبينا محمد ﷺ، فببركته تكونت الكائنات والله تعالى أعلم.

وفيه أن سيدنا أحمد بن عبد الله الغوث رضي الله تعالى عنه قال لمريده: يا ولدي لولا نور سيدنا محمد ﷺ ما ظهر سرٌ من أسرار الأرض، فلولا هو ما تفجرت عين من العيون، وما جرى نهر من الأنهار، وإن نوره ﷺ يا ولدي يفوح في شهر ما رث ثلاث مرات على سائر الحبوب، فيقع لها الإثمار ببركته ﷺ ولولا نوره ﷺ ما أثمرت، ويا ولدي إن أقلّ الناس إيماناً من يرى إيمانه على ذاته، مثل الجبل وأعظم منه، فأحرى غيره. وإن الذات تكل أحياناً عن حمل الإيمان، فتريد أن ترميه؛ فيفوح نور النبي ﷺ، فيكون معيناً لها على حمل الإيمان، فتستحليه وتستطيبه.

وفيه لولا هو ﷺ ما ظهر تفاوت الناس في الجنة والنار، ولكانوا كلهم على مرتبة واحدة فيهما، وذلك أنه تعالى لما خلق نوره ﷺ، وسبق في سابق علمه تفاوت الناس في قبوله والميل عنه، ظهر ذلك عليهم، حيث خلق ذلك النور، فعلم هناك أن منهم من يبلغ من الخشوع درجة كذا، ومن الخوف درجة كذا، وإن فلاناً شرب من ذلك النور لون كذا، من نوع كذا، وفلاناً شرب منه نوعاً آخر قبل ظهورهم وهم في عدم العدم.

قال: قال رضي الله تعالى عنه فتفاوت المراتب وتباينها، هو معنى انشقاق الأسرار منه ﷺ.

وأما غناه ﷺ عن جميع خلق الله تعالى جملة وتفصيلاً، فظاهر مما تقدم ظهوراً لا غبار عليه، ولكني أزيد في إيضاحه فأقول: قال شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: كما في جواهر المعاني اعلم أنه ﷺ غني عن جميع الخلق جملة وتفصيلاً فرداً فرداً، وعن صلاتهم عليه وعن أهدائهم ثواب الأعمال له ﷺ بربه أولاً، وبما منحه من سبوغ فضله وكمال طوله، فهو في ذلك عند ربه ﷺ في غاية لا يمكن وصول غيره إليها، ولا يطلب معها من غيره زيادة أو إفادة، يشهد لذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥] وهذا العطاء، وإن ورد من الحق بهذه الصفة سهلة المأخذ قريبة المحتد، فإن لها غاية لا تدرك العقول أصغرها، فضلاً عن الغاية التي هي أكبرها فإن الحق سبحانه وتعالى يعطيه من فضله على قدر سعة ربوبيته، ويفيض على مرتبته ﷺ على قدر حظوته ومكانته، فما ظنك بعطاء يرد من مرتبة لا غاية لها، وعظمة على قدر تلك المرتبة، ويرد على مرتبة لا نهاية لها أيضاً، وعظمته أيضاً على قدر وسعها أيضاً، فكيف يقدر هذا العطاء وكيف تحمل العقول سعته. ولذا قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣] وأقل مراتبه في غناه ﷺ، أنه من لدن بعثته ﷺ إلى قيام الساعة، كل عامل يعمل لله ممن دخل في طوق رسالته ﷺ يكون له مثل ثواب عمله بالغاً ما بلغ، فليس يحتاج مع هذه المرتبة إلى زيادة إهداء الثواب، لما فيها من كمال الغنى، الذي لا حدّ له، وهذا أصغر مراتب غناه ﷺ بما وراءها من الفيض، الأكبر، والفضل الأعظم الأخطر، الذي لا يطيق حمله عقول الأقطاب فضلاً عمن دونهم، وإذا عرفت هذا فاعلم أنه ليس له حاجة إلى صلاة المصلين عليه ﷺ ولا شرعت لهم، ليحصل له النفع بها ﷺ وليست له حاجة إلى إهداء الثواب، ممن يهدي له ثواب الأعمال، وما مثل المهدي له في هذا الباب ثواب العمل متوهماً أنه يزيده به ﷺ، أو يحصل له به نفع، إلا كمن رمى نقطة قلم في بحر، طوله مسيرة مائة ألف عام، وعرضه كذلك، وعمقه كذلك، متوهماً أنه يمدّ هذا البحر بتلك النقطة ويزيده.

فأي حاجة لهذا البحر بهذه النقطة، وما عسى أن تزيد فيه، وإذا عرفت رتبة غناه ﷺ وحظوته عند ربه، فاعلم أن أمر الله تعالى للعباد بالصلاة عليه ﷺ ليعرفهم علو مقداره عنده، وتفوق مرتبته لديه، وعلو اصطفائه على جميع خلقه، وليخبرهم أنه لا يقبل العمل من عامل إلا بالتوسل إلى الله تعالى به ﷺ، فمن طلب القرب من الله تعالى، والتوجه إليه دون التوسل به ﷺ معرضاً عن كريم جنابه، ومدبراً عن تشريع خطابه، كان مستوجباً من الله غاية السخط والغضب، وغاية اللعن والطرد والبعد، وضل سعيه وخسر عمله، ولا وسيلة إلى الله تعالى إلّا به ﷺ.

فالصلاة عليه ﷺ فيها تعريف لنا بعلو مقداره عند ربه، وفيها تعليم بالتوسل به ﷺ في جميع التوجهات والمطالب لا غير، هذه ممن توهّم النفع له بها ﷺ لما ذكرنا سابقاً من كمال الغنى.

وأما إهداء الثواب له ﷺ، فتعقل ما ذكرناه من الغنى أولاً ثم تعقل مثالاً آخر يضرب لإهداء الثواب له ﷺ بملك عظيم المملكة، ضخم السلطنة قد أوتي في مملكته من كل متمول خزائن لا حدّ لعددها، كل خزانة عرضها وطولها ما بين السماء والأرض، مملوءة كل خزانة على هذا القدر، ياقوتاً أو ذهباً أو فضة أو زرعاً أو غير ذلك من

المتمولات. ثم قدر فقيراً لا يملك مثلاً غير خبزتين من دنياه، فسمع بالملك واشتد حبه وتعظيمه له في قلبه؛ فأهدى لذلك الملك إحدى الخبزتين معظماً له ومحباً، والملك متسع الكرم.

فلا شك أن الخبزة لا تقع منه ببال لما هو فيه من الغنى، الذي لا حدّ له فوجودها عنده وعدمها على حد سواء، ثم الملك لاتساع كرمه علم فقر الفقير وغاية جهده، وعلم صدق حبه وتعظيمه في قلبه، وأنه ما أهدى الخبزة إلّا لأجل ذلك، ولو قدر على أكثر من ذلك لأهداه له، فالملك يظهر الفرح والسرور لذلك الفقير بهديته، لأجل تعظيمه له، وصدق حاله، لا لأجل انتفاعه بالخبزة، ويثيب على تلك الخبزة بما لا يقدر قدره من العطاء، لأجل صدق المحبة والتعظيم، لا لأجل النفع بالخبزة.

وعلى هذا التقدير وضرب المثل قدر إهداء الثواب له ﷺ.

وأما غناه ﷺ فقد تقدّم ذكره في ضرب المثل بعظمة البحر المذكور أولاً، وإمداده بنقطة القلم، وأما إهداؤه ﷺ فقد ذكر المثل له بإهداء الخبزة للملك المذكور والسلام اهـ.

وإذا فهمت جميع ما قدمناه وتحقق فهمك في ذهنك علمت يقيناً، إن قدره ﷺ كما وصف قدره ومقداره به، وأن سؤال المصلّي عليه ﷺ من ربه تعالى، أن يصلّي على نبيه ﷺ حقَّ قدره، ومقداره العظيم واقع موقعه.

وأما لا إله إلا الله فقد ذكر العلماء في معناه أقوال كثيرة، وأصوبها قول من قال: لا معبود بحق سواه.

قال زين الدين الخوافي في الوصايا القدسية، وينوي المبتدأ بكلمة لا إله إلا الله لا معبود غير الله والمتوسط لا مطلوب. أو لا مراد ولا مقصود إلا الله، وإذا وجد في قلبه محبة مخلوق ممن ليس له واسطة بينه وبين الله تعالى ينوي، لا محجوب إلا الله تعالى، وينبغي أن يكون صادقاً في المعاني الثلاثة في النفي والإثبات، ويخلص نفسه بهمته من التعلقات بالكائنات، والميل إلى المشتهيات والمستلذات، التي هي المعبودات الباطلات، ومن الميل إلى الكشوفات الكونية، والكرامات العيانية، فلا طائل تحتها ويطلب الحق وحده وينزه طلبه من المزج بهوى النفس اهـ.

وقال في الخلاصة المرضية في باب آداب الذكر الحادي عشر، احضار معنى الذكر بقلبه مع كل مرة، فيظهر البشرية والوسواس يقول بلسانه لا إله إلا الله وبقلبه لا معبود إلّا الله، وبخمودها وصفاء القلب، وطلب شيء من المعارف، وطلب شيء من الذوق والشوق وغير ذلك. يقول بلسانه لا إله إلا الله وبقلبه لا موجوداً إلا الله، لمشاهدته أنه ينطق به.

ثم قال: الثاني عشر نفي كل موجود بالقلب سوى الله تعالى، ليمكن تأثير إلا الله بالقلب ويسري إلى الأعضاء، لما قيل أن الرجل إذا قال الله يهتز من فوق رأسه إلى أصبع قدميه، وإن لم يهتز فليس برجل. وهذه الحالة يستدلّ بها على أنه سالك فيرجى له التقدم إلى أعلى منها إن شاء الله تعالى اهـ.

وقال شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: اعلم أن الإله في لغة العرب هو المعبود، وأطلقوه على غيره غلطاً منهم. قال جلّ من قائل: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] معناه لا معبود بالحق إلا هو الإله الذي قلنا أنه المعبود، هو المتحقق بمرتبة الألوهية، وهو الذي خضع له الوجود كله بالعبادة والتذلل والخمود تحت قهره، والتصاغر لعظمته وكبريائه، وليس في الوجود شيء يشذّ عن هذا، قاصيه ودانيه، فهو الإله الحق الذي قهر جميع الموجودات بسطوته وقهره، وانفراده بعظمته وكبريائه، وعلوه وجلاله.

وقال قبل هذا الكلام: وهي يعني مرتبة الألوهية، عكوف الوجود على عبادته سبحانه وتعالى بالخضوع تحت كبريائه وعظمته وجلاله، والتذلل لكمال عزّه والخمود تحت قهره بتسليم القياد إليه، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد لا منازع له في حكمه اهـ.

قلت: قال القطب الشيخ عبد العزيز بن مسعود الدباغ: إن في اسم الجلالة ثلاثة أسرار **الأول**: أن مخلوقاته تعالى لا حد لها، وأنها مختلفة فتنقسم إلى إنس وجن وحيوان، وغير ذلك من الأنواع التي لا يعلمها أكثر الخلق، ومع هذه الكثرة فهو تعالى واحد في ملكه لا مدبر معه ولا وزير له، فهو وحده تعالى يتصرف فيها بجملتها، ولا يفوته منها شيء ولا يخرج عن قدره تعالى منها واحد، فهو قاهر للكل محيط به كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾

[البروج: ٢٠] **الثاني**: أنه يتصرف فيها كيف شاء فيغني هذا، ويفقر هذا، ويعز هذا، ويذل هذا، ويجعل هذا أبيض، وهذا أسود، ويجيب سؤال هذا، ويمنع هذا ويفرق بينهما في الأزمنة والأمكنة.

وبالجملة فهو كل يوم في شأن ولا يشغله شأن عن شأن، والاختيار له لا للمخلوقات، فهو يفعل ما يشاء لا ما تشاء. هو سبحانه وتعالى لا إله إلا هو **الثالث**: أنه تعالى مقدّس منزّه لا يكيف، ولا يشبه بشيء من المخلوقات، ومع ذلك فله السطوة والقهر، حتى أنه لولا الحجاب الذي حجب به المخلوقات، لرجعوا هباء منثوراً، ولتهافتوا وصاروا دكاً رميماً عند تجليه تعالى لهم؛ بل لا يبقى لهم أثر حتى يقول القائل ما كان في العالم، هذا شيء من المخلوقات أصلاً إلا أنه تعالى برحمته وعظيم حكمته، لما سبق في قضائه أن يوصل أهل كل دار إليها، إذا أراد أن يخلق مخلوقاً، أي مخلوق كان لا يخلقه حتى يخلق حجابه قبله.

قال رضي الله تعالى عنه: وهذه الأسرار يعلمها أرباب البصيرة، من مجرد النطق باسم الجلالة، من غير احتياج إلى مشاهدة شيء من المخلوقات اهـ. وإذا فهمت مضمون ما تقدم علمت حكمة إثبات الألوهية له جلّ وعلا، ونفيها من غيره بقوله جلّ وعلا: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] ولم يقل لا إله إلا الرحمن، لأن جميع صفات الله تعالى ترجع إلى صفة واحدة، وهي مرتبة الألوهية، لأن الألوهية واحدة، وحقيقتها ترجع جميع غير الله تعالى بالعبادة والخضوع، والتذلل والتصاغر لعظمته وجلاله، وهذه الصفة مع وحدتها استغرقت جميع الموجودات، فلا يشذّ عنها شيء، ثم إنها مع وحدتها قد جمعت الصفات والأسماء الكمالية، فلو انعدم منها صفة أو اسم لم يصح انصاف الحق بالألوهية، والكلام على اسم الجلالة وأسراره يطول بنا، فلنكتف بهذا القدر، ونشرع في ذكر بعض معاني جوهرة الكمال فنقول وبالله تعالى التوفيق: أما لفظ **اللهم** فقد تقدم للكلام عليه، وأما **صلّ وسلّم** فقد تقدم الكلام أيضاً، على أن صلاة الله على نبيه فوق ما يدرك ويعقل، فلا تفسر بشيء.

والحاصل أن الكلام قد تقدّم عليها، ومعنى السلام هنا الأمان من الله تعالى لحبيبه ﷺ، من كل ما يوجب تشويشاً أو تنقيصاً، أو نقصاً في الحظ العاجل والآجل **على سيدنا محمد عين** أي حقيقة وذات **الرحمة الربانية** نسبة إلى الرب نعت الرحمة، وإنما أضيفت إلى الحضرة الربانية، لأن الموجودات إنما نشأت من الحضرة الربانية، فلذلك أضيفت الرحمة إليها، والرب هو العلي عن كل ما سواه ومعناه، أنه الملك والمتصرف والخالق والطاهر، والنافذ حكمه ومشيئته وكلمته في كل ما سواه، وأما حضرة الألوهية، فإنها أصل عبادة الموجودات، فالإله هو المعبود بالحق الذي توجه إليه كل ما عداه بالخضوع والتذلل، والعبادة والمحبة والتعظيم والإجلال. وحضرة الألوهية الشاملة لجميع الأسماء والصفات، والحضرة الإلهية، وإنما سمي ﷺ عين الرحمة، لأنه الأنموذج الجامع في إفاضة الوجود، فإنه لولا وجوده ﷺ لما كان وجود لموجود من المخلوقات أصلاً، فإن وجود كل موجود من ذوات الوجود، متوقف على أسبقية وجوده ﷺ من وجود ذلك الوجود، فإنه لولا هو ﷺ ما خلق شيء من الأكوان، ولا رحم شيء منها لا بالوجود ولا بإفاضة الرحمة، فإفاضة الوجود على جميع وجود الأكوان، مفاض من ذاته الكريمة ﷺ، وأفاضته الرحمة من جميعها مفاض من ذاته الكريمة ﷺ، فبان لك أن الفيض من ذاته الكريمة ينقسم إلى رحمتين. **الرحمة الأولى**: إفاضة الوجود على جميع الأكوان، حتى خرجت من العدم إلى الوجود. **والرحمة الثانية**: إفاضة عين الرحمات الإلهية على جميعها، من جملة الأرزاق والمواهب والمنافع والمنح من العلم بصفات الله تعالى وأسمائه، وكمال ألوهيته، وبأحوال الكون وأسراره ومنافعه ومضاره، وبالاحكام الإلهية أمراً ونهياً، فبذلك يدوم تمتعها بالوجود.

فإذا علمت هذا علمت أنه ﷺ عين الرحمة الربانية، لأن جميع الوجود رحم بالوجود بوجوده ﷺ من فيض وجوده أيضاً رحم جميع الوجود، فلهذا قيل فيه: إنه عين الرحمة ﷺ، وهو المراد بقوله: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [الأعراف: ١٥٦] وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] لأن أصله ﷺ رحمة، ولا يلزم من شمول الرحمة عدم وقوع العذاب والوعيد في الغضب، لأن تلك مقتضيات الكمالات الإلهية، فإن الكريم وإن عظم كرمه، لولا بطشه وغضبه وعذابه ما خيف جانبه، ولو أمن منه هذا الحال احتقر جانبه، وليست هذه صفة الكريم، ولا ينبغي له هذا، فتبين لك أن صفات الكريم الغضب والبطش والتعذيب، ليكون جانبه معظماً مخافاً مهاباً، كما كان جانبه مرجواً لعفوه ورحمته.

ولما كان الياقوت غاية ما يدرك الناس في الصفاء والشرف والعلو، إذ هو غاية ما يدرك من الجواهر الصافية الغالية الشريفة، سمي النبي ﷺ به في هذه الصلاة بقوله: **والياقوتة** وإن كان هو أشرف من الياقوت وأصفى، وأعلى على حد قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥] ثم وصفها بقوله **المتحققة** أي بجميع الصفات والأسماء الإلهية، التي يتوقف عليها وجود الكون، وبقي وراءها من الأسماء والصفات، ما لا توقف لوجود الكون عليه، والمعنى أنه ﷺ تحقق بمعرفة جميع الصفات والأسماء الإلهية، التي يتوقف عليها وجود الكون دون غيرها، ثم وصفه ﷺ بأن الفهوم التي قسمها الله تعالى لخلقه في إدراك معاني كلامه في جميع كتبه، وفي إدراك معاني الأحكام الإلهية في إدراك معاني أسمائه وصفاته ومعارفه، إذا جمعت جميعاً واحداً، وجعلت كالشيء المركوز في الأرض كالعنزة. كان ﷺ دائرة محيطة به بقوله **الحائطة** أي المحيط **بمركز الفهوم والمعاني** أي بالفهوم والمعاني التي كالمركز من إضافة المشبه به إلى المشبه، بعد حذف أداة التشبيه مبالغة، والمعنى أنه ﷺ محيط بجميعها، ما شذّ عنه شيء منها ﷺ، **ونور** معطوف على عين **الأكوان**، أي المخلوقات، **المتكونة** نعت للأكوان أي التي تتكون شيئاً بعد شيء، ويقابلها ما بقي في طي العدم.

فالأشياء المقررة في العلم الأزلي منقسمة قسمين: قسم منها أعيان ثابتة، وهي التي سبق في علمه أنها تخرج من العدم إلى الوجود، وقسم منها أعيان عدمية، وهي التي سبق في علمه أنها لا تخرج إلى الوجود، وتبقى في طي العدم، فإنه علمها أن لو خرجت إلى الوجود وعلى أي حالة تكون، وبأي أمر تتكون، وبأي مكان وزمان تقع، وماذا ينصب عليها من الأحكام الإلهية ضراً ونفعاً، فإنه محيط بجميعها علماً. وهو ﷺ. نورها **الآدمي صاحب الحق** نعت له، وهو ما قرره سبحانه في شرعه الذي حكم به على خلقه أمراً ونهياً. وكيفية وابتداء وغاية، وهو صاحبه ﷺ. المقرر له، والناهي عنه، والمنفذ له، **الرباني** نعت للحق **البرق** المراد به الحقيقة المحمدية **الأسطع** أي الأرفع وارتفاعها ظهورها على جميع الخلق، لأنه مقر الرحمة الفائضة من حضرة الحق، ومنها تفيض على الخلق، وهذه الرحمة الإلهية المنصبة منها على الخلق هي المراد بقوله: **بمزون الأرياح** والمزون جمع مزن، والمراد الرحمات الإلهية، والأرياح جمع ريح استعير البرق للحقيقة المحمدية، والمزن لإنصباب الرحمة الإلهية على الخلق، لأن البرق ملازم لمزن الأمطار، كما أن الحقيقة المحمدية ملازمة للرحمة الإلهية.

والحاصل أن مزن الأرياح، هي الرحمة الفائضة من حضرة الحق على خلقه، ويعني بها ههنا فيوض العلوم والمعارف، والأسرار والتجليات، والأنوار ودقائق الحكم، وما لا ينتهي إلى ساحله وغايته من المنح والمواهب، وصفاء الأحوال والصفات القدسية المخزونة، المنصب على قلوب العارفين والأقطاب **المالئة** نعت لمزون **لكل متعرض** وهو تارة يكون بالتوجه إلى الله تعالى، والتهيؤ والاستعداد، وتارة بالاقطاع الإلهي **من البحور**: قلوب أكابر العارفين **والأواني**: قلوب الأولياء **ونورك** معطوف على عين **اللامع**: نعت النور **الذي ملأت به** الضمير عائد إلى الذي **كونك**: مفعول ملأت **الحائط**: نعت لكون الكون الحائط هو الأمر الإلهي الصادر عن كلمة كن الذي أقام الله تعالى فيه ظواهر الوجود **بأمكنة**: متعلق بالحائط والأمكنة جمع مكان، وهو الذي يحل فيه المتمكن **المكاني** بتخفيف الياء للسجع وأصله التشديد، لأن ياءه للنسبة إلى المكان، والمراد هنا الذات التي منه تحل وتستقر في مكانها، والمعنى ونورك اللامع الذي ملأت به مكوناتك الحائط بأمكنة كل مكان، لأن الكون كله مملوء به ﷺ.

وقد تقدم أن الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله قال في تنوير الحلك: قال الشيخ صفي الدين أبو منصور في رسالته، والشيخ عبد الغفار في التوحيد: حكي عن الشيخ أبي الحسن الوناني قال: أخبرني أبو الحسن الطنجي قال: وردت على سيدي أحمد بن الرفاعي فقال لي: ما أنا شيخك إنما شيخك عبد الرحيم بقنا رح إليه، فسافرت إلى قنا، فدخلت على الشيخ عبد الرحيم فقال: اعرفت النبي ﷺ؟ قلت: لا قال لي: رح إلى بيت المقدس، حتى تعرف رسول الله ﷺ. فرحت إلى بيت المقدس فحين وضعت رجلي، وإذا بالسماء والأرض والعرض والكرسي مملوءة من رسول الله ﷺ انتهى. المراد منه.

اللهم صلّ وسلّم تقدم الكلام على الصلاة والسلام **على عين الحق** فالحق له إطلاقان **والأول**: إطلاقه على الذات **والثاني**: إطلاقه على صفة الذات. فالأول: يقابله الباطل من كل وجه، فالحق المحض هو الذات العلية المقدسة، وما عداها كله باطل، وإلى هذا الإطلاق يشير قول لبيد الذي شهد له رسول الله ﷺ بالصدق والتحقيق:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

وهذا لا يطلق عليه ﷺ، إذ هذا الإطلاق عين الذات المقدسة، لا يطلق على غيرها أصلاً. والإطلاق الثاني هو العدل الذي هو صفة الحق سبحانه وتعالى القائم بصورة العلم الأزلي النافذ في كل شيء، وهذا العدل المذكور هو الساري في جميع آثار الأسماء والصفات الإلهية، ومجموع هذا العدل كلاً وبعضاً مجموع في الحقيقة المحمدية، فلذا أطلق عليها عين الحق في هذا الاعتبار، فكلها حق لا تنحرف عن ميزان العدل الإلهي، الذي هو عين الحق في الإطلاق الثاني. **التي** أنث نظراً إلى معنى عين الذي هو الذات أيضاً.

ولذلك قال **تتجلى منها** والضمير راجع إلى عين. **عروش** جمع عرش فاعل تتجلى. **الحقائق** جمع حقيقة من إضافة المشبه إلى المشبه به، بعد حذف أداة التشبيه مبالغة، والمعنى: اللهم صلّ وسلّم على عين الحق، التي تتجلى منها الحقائق، التي هي كالعروش لما كانت كل حقيقة منطوية على ما لا غاية له، من العلوم والمعارف والأسرار، والمواهب والفيوض شبهت بالعروش، لأن العرش محيط بما في جوفه من جميع المخلوقات.

وأيضاً لما كان العرش هو غاية الرفعة والشرف من المخلوقات، في علم الخلق، وكانت الحقائق في غاية العلو والرفعة والشرف، لأنها صدرت من حضرة الحق، الذي لا غاية لعلوه وشرفه ولا علو ورائه، فهو غاية الغايات في العلو والرفعة والشرف، وكانت الحقائق الصادرة من حضرته سبحانه وتعالى، مكسوةً بهذه الصفة، والعلو والشرف والجلال أطلق عليها اسم العرش من هذا الباب، فهو حقيقة عرش.

ولما كانت المعارف الإلهية المفاضة على جميع الأكابر، من النبيين والمرسلين والأقطاب كلها فائضة من الحقيقة المحمدية، وليس شيء من المعارف، يفاض من حضرة الحق خارجاً عن الحقيقة المحمدية، ولا يفاض شيء منها على أحد من خلق الله تعالى، إلا هو بارز من الحقيقة المحمدية وصف ﷺ بأنه عين المعارف بقوله **عين المعارف**، لأنه ﷺ خزانتها وينبوعها.

الأقوم أي الجاري في مجاري العدل الإلهي لا يعوج بوجه، ولا يخرج عن الجادة المستقيمة في العدل، وهذا التفسير هو معنى الأسقم، أو أنه ﷺ أكمل من كل من قام بتوفية حقوق الحق سبحانه وتعالى، وهذا التفسير الثاني هو الملحوظ في تسميته ﷺ بأحد، فهو ﷺ أكمل الخلق في القيام بتوفية آداب الحضرة الإلهية، علماً وحالاً وذوقاً ومنازلة وتخلقاً وتحققاً، فهو أكمل من حمد الله تعالى من خلقه من جميع الجهات.

ولما كان صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم هو الصراط إلى حضرة الحق جلَّ جلاله، لا عبور لأحد إلى حضرة الحق إلّا عليه، فمن خرج عنه انقطع عن حضرة الحق وانفصل، وصف بأنه هو الصراط التام إلى حضرة الحق بقوله **صراطك التام**؛ لأنه ﷺ لمن أراد الوصول إلى حضرة الحق، كالصراط الذي يكون عليه عبور الناس في المحشر في الجنة، لا مطمع لأحد من الخلق في الوصول إلى الجنة من أرض القيامة، إلاّ على الصراط الذي هو عليه العبور.

فمن رام الوصول إلى الجنة من أرض القيامة، على غير الصراط المعلوم للعبور، انقطع عن الجنة وانفصل، ولا مطمع له في الوصول إليها. كذلك ﷺ هو الصراط المستقيم بين يديّ الحق، لا مطمع لأحد في الوصول إلى حضرته، إلّا بالعبور عليه ﷺ، ومن رامها بغير العبور عليه ﷺ انقطع وانفصل، وطرد ولعن.

وإلى هذا الإشارة يقول الشيخ الأكبر رضي الله عنه في صلاته: إذ هو بابك الذي من لم يقصدك منه، سدَّت عليه الطرق والأبواب، ويرد بعد الأدب إلى إصطبل الدواب. **الأسقم** أي الكامل في الاستقامة بلا اعوجاج.

اعلم أن الأسقم أفعل تفضيل من استقام السداسي، الذي أصله سقم الثلاثي زيد على بنائه ثلاثة أحرف، فصار استفعل. فلما أريد بناء أفعل التفضيل منه، حذفت الألف والتاء، والألف المنقلبة من الواو، مع إنها عين الكلمة، وأبقيت السين مع إنها زائدة، لتدل بأنه مصوغ من استقام السداسي لا من قام، ومثله فيما ذكر أشوق، فإنه أفعل تفضيل مصوغ من اشتاق الخماسي المزيد، الذي أصله شاق الثلاثي، زيد على بنائه حرفان، فصار أفعل، فلما أريد صوغ فعل التفضيل منه حذفت الألف الزائدة مع التاء الأصلية.

إن قلت: لِمَ حذف عين الكلمة من استقام، ولم يحذف من اشتاق؟ **فالجواب** أن إبقاءه لا يضرّ، لأنه خماسي فابقاؤه لا يمنع من كون بناء الشوق على بناء أفعل بعد حذف الألف والتاء، بخلاف استقام، فإن بقاء عين الكلمة منه يمنع من كون بناء اسم التفضيل منه على أفعل، إلاّ إذا حذفت السين، وبعد حذف الألف والتاء، فحينئذ يصير أقوم

فيفوت المقصود أقوم، فيفوت المقصود الذي هو التفنن في السجع على التفسير الأول من تفسيري أقوم.

والمعنى المراد تحصيله الذي هو الاستقامة بلا اعوجاج على التفسير الثاني من تفسير الأقوم، فلانتفاء تلك العلة عن الأقوام، ثبتت فيه عين الكلمة، لأنه من قام الثلاثي غير المزيد.

فإن قلت: من سلفك فيما ذكرت من أئمة اللغة؟

قلت: قال في القاموس القوم الجماعة من الرجال والنساء معاً، أو الرجال خاصة، إلى أن قال وقام قوماً وقومة وقياماً وقامة انتصب، فهو قائم من قوم، وقيم، وقوام، وقيام، وقاومته قوماً، قمت معه، والقومة المرة الواحدة وما بين الركعتين قومة، والمقام وضع القدمين؛ وقامت المرأة تنوح طفقت. والأمر اعتدل كاستقام اهـ.

وأما اشتاق فقد قيل فيه الشوق نزاع النفس، إلى أن قال: وقد شاقني حبها هاجني كشوقني إلى أن قال: واشتاقه إليه بمعنى اهـ.

إن قلت: من سلفك من أئمة النحو.

قلت: قال ابن مالك في باب التعجب من التسهيل، وقد يبنيان يعني التعجب والتفضيل من فعل المفعول إن أمن اللبس، وفعل أفعل مفهم عسر أو جهل ومن مزيد فيه اهـ.

وقال الدماميني ما أعطاه للدراهم وما أشوقني إلى عفو الله تعالى، فإنهما من أعطى واشتاق، وليس من ذلك ما أفقره، فإنه من فقر الرجل بمعنى افتقر.

وأما أشهاه فإنه من شهى الشيء بمعنى اشتهاه اهـ. **اللهم صلّ وسلّم على طلعة** أي مجلي ومظهر **الحق** وهو الله تعالى بذاته سبحانه وتعالى. وتجليه **بالحق** أي بذاته لا بشيء دونها، فإن السبب الذي تجلت به الذات العلية للحقيقة المحمدية وتجليها لها، كان عن الذات العلية المقدسة المنزهة لا عن غيرها، وهذا أحد تفسيري طلعة الحق بالحق.

التفسير الثاني إن طلعة الحق طوالع الأسماء والصفات الإلهية، التي مجموعها هو عين الحق الكلي بجميع ما تفرّع عنها من الأحكام الإلهية، والمقادير الربانية، واللوازم والمقتضيات اللازمة لتلك الصفات والأسماء، فمجموعها عين الحق الكلي، فكان ﷺ مطلعاً لها، جامعاً لحقائقها وأحكامها ومقتضياتها ولوازمها، فكان طلوعها في الحقيقة المحمدية عن مادة أسرار الصفات والأسماء الإلهية، الذي هو السبب المعبر به بالباء، فكان طلوعها فيه ﷺ بحسب أسرارها وأنوارها فكلها حق، والمعنى اللهم صلّ وسلّم على طلعة أي مجلي أي مظهر، أي مطلع الحق الذي هو صفاتك وأسماؤك، وجميع ما تفرع عنها من أحكامك ومقاديرك، واللوازم المقتضيات الملازمة لتلك الصفات والأسماء، الجامع لحقائقها وأحكامها ومقتضياتها ولوازمها. التي كان طلوعها في الحقيقة بالحق عن سادة أسرار صفاتك وأسمائك، وكان طلوعها فيه بحسب أسرارها وأنوارها، فكان كله حقاً. ولما تم قيامه ﷺ في هذا الميدان بحقوق التجليين المذكورين، وتوفيته وظائف خدمتها وآدابها جملة وتفصيلاً، وتكملة لمقابلتهما بعبوديته الكاملة، عبّر عن هذه الالطاف في الصلاة الكريمة بقوله: عبدك من حيث أنت، كما هو عبدك من حيث أسماؤك وصفاتك، ولما كان جميع الأسرار والعلوم والمعارف والفتوحات، والفيوضات والتجليات الشريفة منها يستفاد جميع المطالب، وصف ﷺ بأنه هو الكنز الأعظم بقوله **الكنز الأعظم**، إذ من فائدة الكنز تحصيل المطالب والمنافع لذي الحاجات.

فبسبب كونه ﷺ كنزاً عظيماً يستفاد منه جميع المطالب، والمنح والفيوضات الربانية، والدنيوية والأخروية، والعلوم والمعارف، والأسرار والأنوار، والأعمال والأحوال، والمشاهدات والتوحيد، واليقين والإيمان، وآداب الحضرة الإلهية، فهو المفيض لجميعها على جميع الوجود جملة وتفصيلاً فرداً فرداً من غير شذوذ.

إفاضتك التي هي مورد الألطاف الذي سألته منك عندما تجليت بنفسك وأوصافك، وسألت ذاتك بذاتك ذلك، فتلقيت ذلك السؤال منك بالقبول والاسعاف، وكان قوامه راجعاً **إليك**، فأوجدت ذلك المورد الذي هو الحقيقة من حضرة علمك عيوناً وأنهاراً، ثم سلخت العالم منها واقتطعته كله تفصيلاً على تلك الصورة الآدمية الإنسانية.

اعلم أنه لما تعلقت إرادته بإيجاد خلقه، أبرز الحقيقة المحمدية، وذلك عندما تجلى بنفسه من الأوصاف، وسأل ذاته بذاته مورد الألطاف، فتلقى ذلك السؤال منه بالقبول والإسعاف، فأوجد الحقيقة المحمدية من حضرة

علمه، فكانت عيوناً وأنهاراً، ثم سلخ العالم منها، واقتطعه كله تفصيلاً على تلك الصورة الآدمية الإنسانية، فإنها كانت ثوباً على تلك الحقيقة المحمدية النورانية، شبه الهواء والماء في حكم الرقة والصفاء، فتشكل الثوب شكل الصورة النورانية، فكان محمد ﷺ مجمع الكل وبرهان الصفات، ومبدأ الأعلى، وكان آدم عليه السلام نسخة منه على التمام، وكانت نسخة الذرية من آدم عليه السلام، فتحقق هذا النسخ تعش سعيداً، غير أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من كتابي محمد وآدم على الكمال، والعارفون الوارثون نسخة من آدم وظاهر سيدنا محمد ﷺ.

وأما أهل الشمال فنسخة من طينة آدم لا غير، وأما التناسل إلى أن جاء زمانه عليه الصلاة والسلام، فصيَّر الله تعالى العالم قبضة ومخضة جسم محمد ﷺ زبدة مخضة العالم، كما كانت حقيقة أصل نشأته، فله الفضل بالإحاطة، إذ كانت البداءة والختم فقد حصلت في علمك نشأة أول كل موجود، وأين مرتبته من الوجود، ومنزلته من الوجود.

والحاصل أن سيدنا محمداً ﷺ أول الموجودات وأصلها وبركتها، وببركته وجدت وبه استمدت.

إحاطة مصدر وصف به مبالغة، أي المحيط كرجل عدل أي عادل **النور** أي بالنور **المطلسم** أي المكتوم أي المحيط بسر ألوهيتك، المكتوم الذي أردت أن تطلع عليه غيرك من خلقك من ذوي الخصوصية، لأن سر الأول قسمه الحق سبحانه بحكمة المشيئة قسمين: قسم استبد بعلمه لا يطلع عليه غيره: وقسم: اختار أن يطلع عليه غيره من ذوي الاختصاص، وكان مقسوماً بينهم بالمشيئة الأزلية، لكل واحد منهم ما قدّر له من سر الألوهية، وكان ذلك المقسوم لخلقه أن يطلعوا عليه كله أحاط به ﷺ علماً وذوقاً، واجتمع في ذاته الكريمة في حقيقته المحمدية، وتفرق منه إلى الخلق، أي واصل إلى كل واحد ما قسّم له، وبعبارة أن المراد بالنور المطلسم الكمالات الإلهية، التي سبق في سابق علمه أن يكشفها لخلقه، ويطلعهم عليها جملة وتفصيلاً، لكل فرد من الوجود ما يناسبه، وما يختص به من أول ظهور العالم إلى الأبد.

وكان ذلك النور المذكور مطلسماً في حجاب الغيب، وضرب عليه حجب عظيمة، بحيث لا يمكن لأحد الوصول إلى الاطلاع عليه أو على شيء منه. فأشهد الله تعالى نبيه ﷺ دفعة واحد، وأطلعه عليه في حقيقته المحمدية من غير شذوذ، والمعنى حينئذٍ إحاطة النور، أي العالم المشاهد، أي المطلع بالنور، أي كمالاتك المطلسمة، أي المحجوبة المغيبة التي سبق في سابق علمك أن تكشفها لخلقك، وتطلعهم عليها، وإنما أفرد النور وأريد به الكمالات الإلهية، لأنها كلها حق، والحق كله نور **صلّى الله** تعالى **عليه وعلى آله** وصلاة الله تعالى على نبيه ﷺ توفيقية، لا تعرف حقيقتها وما يقوله فيها أهل الظاهر لا يلتفت إليه، وتقدم أنها فوق ما يدرك ويعقل، فلا تفسّر بشيء، بل نقول يصلّي على نبيه ﷺ، ولا تكيف صلاته.

وتقدم أيضاً أن الصلاة في حق الله تعالى على نبيه ﷺ وصف قائم بذاته على الحد الذي يليق بذاته وعظمته وجلاله، وهو أمر فوق ما يدرك ويعقل **صلاة** معمول صلّ وسلّم على طلعة الحق بالحق إلى آخره ضلاة **تعرفنا بها** أي بالصلاة **إياه** أي نبيك محمد صلّى الله تعالى عليه وسلم في مراتب بطونه ﷺ طلب المصلّي من الله أن يعرفه رسول الله ﷺ، إما بالوصول إلى معرفة حقيقة روحه، أو حقيقة عقله أو قلبه أو نفسه.

أما حقيقة روحه فلا يصل إليها إلا الأكابر من النبيين والمرسلين والأقطاب، ومن ضاهاهم من الأفراد ومن العارفين من يصل إلى مقام عقله ﷺ، فتكون معارفه وعلومه بحسب ذلك، إذ ليس مقام الفعل وعلومه كمقام الروح وعلومه، ومنهم من يصل إلى مقام قلبه ﷺ، فتكون معارفه وعلومه بحسب ذلك، وهو دون مقام العقل في المعارف والعلوم، ومنهم من يصل إلى مقام نفسه ﷺ، فتكون معارفه وعلومه بحسب ذلك، وهو دون مقام القلب.

وأما مقام سره ﷺ فلا مطمع لأحد في دركه لا من عظم شأنه ولا من صغر، والفرق بين مقام سره وعقله وقلبه ونفسه، أن مقام سره ﷺ هي الحقيقة المحمدية التي هي محض النور الإلهي، التي عجزت العقول والادراكات من كل مخلوق عن إدراكها وفهمها، ثم ألبست هذه الحقيقة المحمدية لباساً من الأنوار الإلهية، واحتجب بها عن الوجود، فسميت روحاً، ثم تنزلت بألباس أخرى من الأنوار الإلهية واحتجبت بها، فكانت بسبب ذلك تسمى عقلاً، ثم تنزلت بألباس أخرى من الأنوار الإلهية، واحتجبت بها، فسميت بذلك قلباً، ثم تنزلت بألباس أخرى من الأنوار الإلهية واحتجبت بها، فكانت بسبب ذلك تسمى نفساً انتهى. والله تعالى الموفق للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب.

في المقاصد التي تبنى عليها الأذكار

اللازمة للطريقة فقط، فأقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنّه إلى سواء الطريق.

اعلم أنه ما من ذكر من أذكار هذه الطريقة اللازمة وغيرها، إلاّ وله مقصد بنى عليه ذلك الذكر، ومنها ما يكون له مقاصد متعددة، ومرادنا أن نذكر منها ما لا بأس بذكره، والمانع من كتب الكل خوف إفشاء الأسرار الإلهية، إذ لا يؤمن أن يقع الكتاب على يد شياطين الإنس، والطلبة الكذبة الفجرة الدجالة الضالين، الذين يدَّعون أن لهم الإذن فيما ليس لهم فيه من علم، فيعطونها من لا علم لهم بحالهم، فيصدقهم إغتراراً بمقالتهم، فيستعمله على ذلك المقصد فيهلك. أو يستعمله الجاهل بحقيقة الأمر من غير ادعاء إذن، فيتعب نفسه من غير أن يحصل على طائل، وغايته سلامته من الطعن.

وإذا تقرر هذا فاعلم أن المقصد هو ما يحصل به القاعدة التي عليها بناء الذكر، ويختلف باختلاف الأذكار، وهو آكد شروط الذكر وألزمها، لأنه الذي عليه يجري معنى الذكر، لأن الذكر يدور على اللسان، ليؤثر معناه اتصافاً في النفس بما يقتضيه المعنى، فإذاً لا بدّ من احضار قصد بين يديّ الذكر يبنى عليه الفكر، تدبر المعنى المذكور بحسن تلمح الفكر.

معنى القصد أثناء الذكر قوة التأثير في النفس وأهل التمكين في هذا الطريق، لا يخلو حركة من حركاتهم، ولا سكنة من سكناتهم، عن قصد يتوجهون بمعناه إلى الله تعالى، فلا أقل لهم من تواصل معنى قصد الذكر بأبلغ ما يمكنهم، وكذلك سائر العبادات.

روي عن طاوس أنه سئل منه الدعاء فقال: لم أجد قصداً، لأن المقاصد هي أرواح الأعمال، ولا يستقيم عمر لا روح له، ثم اعلم أن مقاصد الأذكار تختلف باختلاف المنازل والمقاصد من الأذكار كالأرواح من الأجساد، والمعاني من الألفاظ، وهي أساس الأذكار عليها بناء الذكر، وإليها يرجع عنه حضور الفكر من صفحات معناه تتلمح الثمرات، ومن تلقائه تهب نواسم الأسرار والبركات، ومن أغمي عليه في معنى قصده خاب مسعاه، وبعُد مأواه. اهـ ملخصاً انظر بغية السالك، وإذا تمهد هذا فاعلم أن مقاصد الأذكار اللازمة للطريقة ظاهرة واضحة، لمن تأمل كيفية قراءة الورد والوظيفة، والذكر الذي يفعل بعد عصر يوم الجمعة من حين ابتداء قراءتها حتى تختم، وذلك أن العبد لا يخلو غالباً من أقوال وأفعال، وأخلاق وأحوال توجب له من ربه نقصاً أو شكاً أو لوماً أو ذماً أو إبعاداً. ولما كان الغالب على العبد ما ذكرنا كان مطلوباً بالتوبة والاستغفار، من كل ما يخل بالعبودية، ويوجب الشين على العبد، ويمنعه التطهر من الأخلاق، والأوصاف البهيمية والطبيعة النفسانية، والاتصاف بالصفات المحمودة من صفات الملائكة والروحانيين والنبيين.

ولما علم أن الذي طلبه بما ذكر هو ربه المتصف بالعظمة والجلال، علم أن هذا لا ينبغي لعاقل أن يعبده، طلب الحظوظ والأغراض، وإنما ينبغي له أن يعبد الله عزّ وجلّ، لأجل الله سبحانه وتعالى ولإرادة وجهه، وامتثال أمره بعبادته، ولأداء حق العبودية، وللقيام بحث الربوبية، ولتعظيمه وإجلاله ومحبته، وحياء منه أن يراه تخلف عن أمره وشوق إليه، وشكر لنعمه، وابتغاء مرضاته، مع الإعتراف بالعجز والتقصير وعدم توفية الربوبية حقها، وسكون ذلك في القلب ما دام في قيد الحياة، مع إقراره بأنه إن رزقه الله تعالى عبادته، أنه لا يدوم له ذلك، إلّا إذا أمدَّه الله بإدامته، وأعانه بمعرفة منه، ثم يتبرأ من حوله وقوته.

ويعترف أن العزم على ذكر ربه قبل الشروع فيه، محض موهبة وانعام وتوفيق من الله، ثم يستعين بالله على الشروع في مقصد الأذكار، التي هي الورد والوظيفة، والذكر الذي يفعل بعد العصر يوم الجمعة، ثم يقول بلسانه

مستحضراً معنى ما يقول في قلبه: اللهم إني نويت بتلاوة هذا الورد تعظيماً وإجلالاً لك وابتغاء مرضاتك، وقصداً لوجهك الكريم، مخلصاً لك من أجلك، وأقول بإمدادك وعونك وحولك وقوتك، وبما وهبتني من انعامك وتوفيقك مستعيناً بك، ثم يقرأ فاتحة الكتاب إلى آخرها بأن يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى آخر السورة ويقول آمين.

وفي ذلك من الأسرار ما لا يحيط به إلّا الله، ولا ينبغي لنا إفشاء ما علمنا منه، وها نحن نكتفي بذكر قليل مما لا بأس بذكره. فنقول إن في قراءة الفاتحة مقاصد الأذكار اللازمة، أولها أن العبد لما كان الضعف والعجز، والذل والافتقار، وعدم الحول والقوة من أوصافه الذاتية، وإن القدرة والحول والقوة والمعونة والتوفيق للقيام بأمر الله واجتناب نهيه من الله، وأن الشيطان مسلط على العبد لا حيلة للعبد في النجاة منه إلّا بالله، بدأ بالاستعاذة بالله وبذكر البسملة، فلما علم أن ربه جلّ وعلا تفضل عليه بالعزم الماضي والجزم النافذ، بادر بالحمد لله والثناء عليه كما هو أهله، ولا يحمده أحد، ويثني عليه بمثل فاتحة الكتاب، ثم إنه لما قال الحمد لله رب العالمين، قوّي رجائي على تبرئه مما سوى الله تعالى، حين ألهمه الاقرار بقلبه والنطق بلسانه، أن لا يستحق الحمد إلّا مولاه، لأنه هو المنعم بإيجاده أولاً، وبالتفضل بخلق الإيمان فيه ثانياً، وبتوفيقه إلى النهوض إلى هذه العبادة ثالثاً، ثم إنه قال الرحمن الرحيم ازداد رجاؤه قوة ورسوخاً في قلبه، وازداد فرحاً وسروراً بهذا المنعم الكريم.

ولما قال ملك يوم الدين، كادت نفسه تزهق وتصير تراباً وتطير، لما امتلأ قلبه من هيبة عظمة هذا الملك، ولما تحقق له هذا المشهد خضع لربه وذلّ وتبرأ من سواه، ولما قال إياك نعبد، وازداد تذللاً وتصاغراً لمولاه بطلب المعونة، لعلمه بأنه لا يقوى على عبادته إلّا به، . لأنه هو الفاعل والموفي بقوله وإياك نستعين، ثم إنه لما امتثل قول مولاه جلّ وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] وقدم الوسيلة إليه بجميع ما تقدم، شرع في السؤال من الله تعالى أن يرزقه نيل ما يطلبه من مولاه الكريم، لأنه هو المقصود الأعظم الذي كان بصدده، وهو سلوك الطريق المستقيم، الذي يوصله إلى ما وصل إليه، الذين أنعم عليهم مولاهم الكريم، وهم النبيون والصديقون، والشهداء والصالحون، والعدول عن طريق الفرق بين الضالة من هذه الأمة وغيرها، والوصول إلى هذا الطلب البر هو المقصد الأعظم من الذكر، بقوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

ثم إنه لما علم أن المتنجس بالأدناس والرذائل، لا يصلح له الوقوف بباب الملك، فضلاً عن الدخول، فالخدمة له أولى وأحرى، وأما طمعه في دخوله مداخل الخاصة فسوء أدب وجرأة على الملك.

وعلم أن اللائق بصاحب هذا الحال ما يطهره ليصلح للخدمة، وعلم أيضاً أنه لا بدّ له من الوسيلة، والوسيلة لا يجترئ على توصيله وهو متلطخ بالنجاسة، وعلم أن التطهر من تلك النجاسات لا يحصل إلا بالتوبة والاستغفار، شرع في الاستغفار بقوله: **استغفر الله**، ثم إنه لما أكمل من الاستغفار ما كان اجتناه، قوي رجاؤه على أنه قد يصلح الآن للوقوف بين يدي سيده وخدمته، ولكنه في خوف شديد ووجل عظيم، لما علم من عظمة هذا الملك وكبريائه، وعلو شأنه، وكونه مختاراً يفعل ما يشاء.

ولما علم ذلك خاف من الاستبداد بنفسه والاستقلال بأمره، لأن مثله لا يستحق بذلك إلا الطرد والأبعاد من الملك. وهذا والعياذ بالله تعالى هو الذي كان يخاف أن يلحقه من جناب سيده، ولما علم أنه هو وجميع الخلق في هذا الميدان على حد سواء، رجع إلى الله تعالى برسوله، الذي هو وسيلة جميع المخلوقات إليه تعالى في جميع التوجيهات، والمطالب لعلمه بعلو مقداره عند الله تعالى، وشفوف مرتبته لديه، وعلو اصطفائه على جميع خلقه، وعلمه بأن الله تعالى لا يقبل العمل من كل عامل إلّا بالتوسل إلى الله تعالى به ﷺ.

فمن طلب القرب من الله والتوجه إليه دون التوسل به ﷺ، معرضاً عن كريم جنابه، ومدبراً عن تشديد خطابه كان مستوجباً عن الله غاية السخط والغضب، وغاية اللعن والطرد والبعد، وضل سعيه وخسر عمله، ولا وسيلة إلى الله تعالى إلا به ﷺ وامتثال شرعه.

وهذا الذي ذكرناه هنا، يكفي مقصداً في الصلاة على النبي ﷺ، لمن علمه بقلبه، ولم ينطق به بلسانه، إذا كان

مستحضراً ذلك من أول الورد إلى الختم. مع أن المقصد الذي ذكرناه أولاً يكفي لمن أراد الشروع في الأوراد اللازمة من غير تفصيل، وإذا نطق به وقت الشروع بلسانه، مستحضراً معناه في قلبه، يكفيه في الوظيفة والذكر الذي يفعل بعد عصر يوم الجمعة.

ولكن إذا أردت أن نزيدك مقصداً واحداً للصلاة على النبي ﷺ لرغبتك فيه، فقل بلسانك مستحضراً معناه في قلبك: اللهم إني نويت أن أتقرب إليك بالصلاة على رسولك الكريم ﷺ عبادة وتعظيماً، وابتغاء مرضاتك ومرضاة رسولك الكريم، وقصداً لوجهك العظيم لك من أجلك مخلصاً لك، وأنت الذي مننت عليّ بهذا، وتفضلت به عليّ لبيك اللهم وسعديك والخير كله بيديك، اللهم صلّ على سيدنا محمد إلى آخره. ثم إنه لمّا توسل إلى الله تعالى بسر خليقته وعروش مملكته، وزين بريئته وسيد أهل المعرفة، واتخذه مسايراً له في طريقه، وإماماً له في حضوره وغيبته صلّى الله تعالى عليه وسلم في ما قسم الله تعالى على قدر حاله ومقامه، وأمره ﷺ بقدر ما كان ورداً له في ذلك المجلس، واكتسب من أنوار هذا النبي الكريم ﷺ من الأسرار والأنوار، والأحوال والأخلاق والعلوم بقدر حاله ومقامه، ما يزداد به إيمانه وطهارته ويقينه وإخلاصه وحبه في الله تعالى، واستغراقه في التوجه إليه والتبرئ من سواه، ليكون بذلك صالحاً للتوجه إليه بذكر الكلمة المشرفة.

لأنه ﷺ أكرم على الله تعالى من أن يتوسل به ﷺ متوسل إلى الله تعالى، وكان صادقاً أن يخيب الله تعالى له أمله، ويضيع سعيه إذا أراد أن ينتقل إلى ذكر الكلمة المشرفة.

ولما علم أن من استغرق في ذكرها، ربما ظهر له الشيطان ويقول له: أنا ربك، أو يظهر له اللعين صورة من الصور ويقول له: إن الذي رأيته هو ربك، وتخيل نفسه شيئاً في الخيال أو فينظره، فيظن أنه ربه قدم قبل الشروع مقصداً فيها، يهدم جميع ذلك، ويكون ذلك المقدّم بين عينيه، لا يغفل عنه إذا اعتراه في أثناء الذكر وهو هذه الآية الشريفة ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠] ثم أردف ذلك بالسلام على جميع إخوان هذه الوسيلة، وهم جميع الرسل على نبينا وعليهم الصلاة والسلام، مع كونه ﷺ إمامنا ونبينا ووسيلتنا إلى ربنا، لكنا لما كنا مأمورين بالإيمان بهم، وعدم التفريق بين أحد منهم، ومأمورين بتعظيمهم، كان علينا أن نعظمهم ونسلم عليهم. ولا شك أننا نستمد منهم ما يزيدنا قوة وثباتاً وانشراح صدر لذكر هذه الكلمة الشريفة.

ومع ذلك إننا ما سلمنا عليهم بانفرادهم، بل على نبينا ﷺ وعليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم، ليكون استمدادنا منهم تابعاً لاستمدادنا منه ﷺ، لما علم أن التوفيق إلى التوسل إلى الله تعالى به ﷺ له بالصلاة عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم، وبالسلام عليه وعلى جميع الرسل عليه وعليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم. وأن جميع ما حصل من النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم، ومنهم عليه وعليهم من الله تعالى أفضل الصلوات، وأتم التسليمات من الأفراد محض منة من ربه المنان، رجع إلى حمده تعالى وحده بقوله: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

ولما اكتسب بفضل الله تعالى من جميع ما تقدم الصلاحية لذكر الكلمة الشريفة، شرع في ذكرها بقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الصافات: ٣٥]، ثم إنه لما حصل له شهود الاستغراق في شهود المذكور، وعلم أنه لا يثبت الاستغراق بشهوده تعالى على الوجه الأكمل، إلّا إذا توسل به إلى الله تعالى وهو سيدنا محمد ﷺ، وأنّ الله تعالى لا يقبل عملاً من عامل إلّا بالتوسل به ﷺ، وأنّ شكر الواسطة هو الوجه الأكملي، لأنه هو الجامع بين الشريعة والحقيقة، وأنه راجع إليه ﷺ يستمد منه ﷺ، ما يزيده قوة وثباتاً على دؤوب الاستغراق بشهوده تعالى، رجع إلى الإقرار بالرسالة له ﷺ بقوله في المرة الأخيرة من ذي الكلمة الشريفة محمد رسول الله.

ولما علم أن إشراكه رسول الله ﷺ مع الرسل في السلام المتقدم، ما يوفي ما لرسول الله ﷺ من الحقوق سلّم خاصة بقوله وعليه سلام الله، ثم إنه إن كان في الوظيفة، يزداد رجوعاً إلى رسول الله ﷺ، لأنه البرزخ الأعظم بينه وبين الحق، بل وبين جميع المخلوقات والحق، لعلمه أن جميع ما ناله من الله تعالى من الخيرات، إنما ناله بتوسلّه إلى الله تعالى به ﷺ، بل لولا ظهور رسول الله ﷺ فيه، وسراية روحانيته ﷺ في ذاته وأعضائه وروحه، لما وجد فضلاً من أن يؤمن فضلاً من أن يذكر فضلاً من أن يقبل ذكره، بل رسول الله ﷺ هو الذاكر لله تعالى والمتوجه إليه، والمصلّي على نفسه، والعابد له تعالى في ذوات جميع الذاكرين، والمتوجهين والمصلين عليه ﷺ والعابدين، لأنه

ﷺ هو روح، رحم به جميع الوجود، وبه بقاء الوجود، وبه جميع ما نالوه من الخيرات الدنيوية والدينية والأخروية، وهو أصل المخلوقات كلها، ومنه وجدت كما تقدم.

ولما علم جميع ما تقدم رجع إلى شكر المنعم بشكر الواسطة بمدحه بالصلاة عليه ﷺ، بصلاة جمعت بين مدحه ﷺ بالصلاة عليه ﷺ بقوله: اللهم صلِّ وسلّم على عين الرحمة الربانية إلى آخره، ولا شك أن الصلاة عليه ﷺ بمدحه، بأنه هو عين الرحمة الربانية، فيه إعلام بأن الذاكر، لما ختم ذكره بهذه الصلاة كان من أكمل الرجال، لأنه جمع بين الشريعة والحقيقة، حيث امتثل أمر مولاه بالصلاة عليه ﷺ، وبالتوسل به إلى مولاه أيضاً، وبشكره ﷺ حيث كان ظهوره وخلقه وبعثه وكونه رحمة لنا.

ومع ذلك إنما نسب الرحمة إلى الرب، لأنه هو الراحم حقيقة، ثم إنه لما ختم العدد الذي يقرؤه من جوهرة الكمال، كأنه يسمع هاتفاً من الهواتف الخفية يقول له: إحذر يا عبدي أن يقع في وهمك أنك وفيت شيئاً من حقوق نبيي ورسولي وسر خلقي بهذه الصلوات التي صليت بها، وأنه ينتفع بها فأنا بعظمتي ووجودي وسعة ملكي وغنائي وملائكتي الكرام، نصلّي عليه، فلا يحتاج مع ذلك إلى صلاتك ولا إلى صلاة غيرك، وإنما أمرتك بالصلاة عليه لتكون مقبولاً عندي ببركة توسلك به إليّ، فأجابه الذاكر بسرعة ليعلم نفسه بما خوطب به بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾. فأجاب فوراً بقوله ﷺ: وعلى آله وصحبه تسليماً، ثم صار كأنه يسمع هاتفاً من الهواتف الخفية يقول له ثانياً: وإذا كان في مخلوقاتي من صار لمكانته عندي وعلو شأنه لديّ وحبي فيه غنياً عن جميع خلقي، وجميع خلقي محتاجون إليه، فكيف بربه الذي له الألوهية والربوبية. واحذر يا عبدي أن تنسب لي شريكاً أو شبيهاً أو افتقاراً إلى عبادتك أو إلى شيء ما. ولذلك أجاب فوراً بقوله: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠].

ولما بلغ به الأمر إلى هذا الحال، صار كأنه يسمع هاتفاً من الهواتف الخفية يقول له: اعلم أيها العبد أنك لو ارتقيت إلى ما عسى أن ترقى إليه من مقامات القرب والدنو، والوصول إلى حضرة الحق تعالى لا تكون عنده مقبولاً، ولا تسلم من المصائب الدنيوية والدينية والأخروية، إلّا بالتوسل برسله إليه، لأنك ما سلمت من الشرك وغيره إلّا ببركتهم، واتباع ما أتوك به منه؛ وحيث كان الأمر كذلك فسلّم عليهم تعظيماً لهم، لتعظيم الحق تعالى إياهم، وذلك يستدعي تسليم الحق تعالى عليك، وعنايته برسله توجب أن يعتني بمن عظمهم، ونفع تسليمك عليهم عائد إليك لا إليهم، لأن تسليمك عليهم لا يزيدهم.

فأجاب هذا الهاتف بقوله: وسلام على المرسلين.

ولما بلغ الأمر إلى هذا الحال صار كأنه يسمع أيضاً هاتفاً من الهواتف الخفية يقول له: اعلم أن نعمة بعث الرسل إليك، وغيرها من النعم الظاهرة والباطنة، التي أسبغها الله عليك وعلى غيرك منه تعالى وحده، فاحمده وحده، كما أنه هو المنعم وحده ليس بيد غيره نفع ولا ضرّ ولا جلب ولا دفع العاجل والآجل. فأجاب هذا الهاتف بقوله: ﴿وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

ولما كان ذكر الكلمة الشريفة هو المقصود الأعظم في الأذكار، لأن الاستغراق بشهود المذكور لا يحصل للعبد، إلّا إذا حصل له التوحيد الحقيقي، ولا شيء يثمر للعبد التوحيد الحقيقي مثل ملازمة ذكر الله تعالى على الدوام، والكلمة الشريفة أفضل الأذكار، لأن ثمرات الأذكار مجموعة في ذكر الفرد وفي التسهيل لابن جزي بتقديم بعض كلامه وتأخير بعضه.

واعلم أن الذكر أنواع كثيرة فمنها: الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ، والتهليل والتسبيح والتكبير والتحميد، والحوقلة والحسبلة، وذكر كل اسمٍ من أسماء الله تعالى. أما الاستغفار فثمرته الإستقامة على التقوى، والمحافظة على شروط التوبة، مع إنكسار القلب بسبب الذنوب المتقدمة، وأما الصلاة عليه ﷺ فثمرتها شدة المحبة فيه، والمحافظة على اتباع سنته، وأما التهليل والتوحيد أعني التوحيد الخاص، فإن التوحيد العام حاصل لكل مؤمن، وأما التسبيح فثمرته ثلاث مقامات وهي: الشكر وقوة الرجاء والمحبة.

فإن المحسن محبوب لا محالة، وأما الحوقلة والحسبلة فثمرتها التوكل على الله تعالى والتفويض إلى الله عزّ وجلّ والثقة بالله سبحانه. ثم إن ثمرة الذكر بجميع الأسماء والصفات مجموعة في الذكر الفرد وهو قوله الله الله فذلك هو الغاية وإليه المنتهى.

وإذا كان الأمر هكذا فاعلم أن للذكر الذي يقرأ بعد عصر الجمعة مقاصد تحوي أسراراً لا يمكن لي ذكرها كلها، ولكني أذكر منها ما يمكن ذكره. **أولها**: أن ينوي الذاكر شكر الله تعالى على ما وفقه من النهوض إلى ذكره، ويسر له إتمام ما التزمه من الأذكار اللازمة ستة أيام، فإذا فرغ من النية يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم قائلاً: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم يستعين بالله تعالى على الشروع في الذكر وفي إتمامه، على وجه يرتضيه ربه المحسن إليه قائلاً: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ١ ـ ٧] **وثانيها**: أن ينوي بالاستغفار ثلاث مرات، الطهارة من الذنوب، والاستقامة على التقوى، والمحافظة على شروط التوبة، وبالصلاة على النبي ﷺ ثلاث مرات: العبودية لله تعالى والتعظيم له، وابتغاء مرضاته، **وثالثها**: أن يستحضر في قلبه، ويتلمح بنظره إلى النبي ﷺ وهو الشيخ الحقيقي، لأنه ﷺ هو الذي سنّ تلقين هذه الكلمة الشريفة كما تقدم، لأنه ﷺ لقنها علياً وهو ﷺ قال ثلاث مرات: لا إله إلا الله وعلي يسمع، ثم إنه ﷺ أمر علياً رضي الله تعالى عنه أن يقولها ثلاث مرات وهو ﷺ يسمع.

فإذا علم الذاكر هذا الأصل كان الاستغفار ثلاث مرات، والصلاة على النبي ﷺ كذلك، مذكرين له هذا الأصل، فإذا تذكره صار كأنه ينظر إلى رسول الله ﷺ، فلما حصل له هذا الشهود، وعلم أنه ﷺ هو الواسطة على الحقيقة، وشكر الواسطة مطلوب شرعاً، علم أن أحداً لا يشكره بأفضل من الصلاة عليه ﷺ للآية الشريفة بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] لتكون تلاوته إياها مذكرة له بتعظيم الله تعالى نبيه ﷺ وأجاب بسرعة صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً. **رابعها**: أن يقصد بذكر الكلمة الشريفة تنزيه الحق عن كل ما لا يليق بجلاله وعلوه، وعظمته وكبريائه.

ولما علم أن الحادث عاجز عن معرفة القديم، فضلاً عن أن ينزهه التنزيه الذي يليق به قال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ لما كان علم الذاكر أن توحيد الحق تعالى وتنزيهه عن جميع النقائص، لم يحصل له إلّا من تبليغ الرسل ذلك عن ربهم عمم السلام على جميعهم بعد تخصيص سيد الخلق به عليه وعليهم من الله تعالى أفضل الصلاة وأتم التسليم بقوله: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٨١].

وخامسها: أن يكون مقصود الذاكر الكلمة الشريفة أيضاً، قطع العلائق والعوائق التي تصده عن الإقبال إلى مولاه، والادبار عن كل ما سواه، وذلك لمعرفته أن ما سوى الحق تعالى مملوك ومقهور، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا جلباً ولا دفعاً وأن الخير، دنيا وبرزخاً، وأخرى بيد الحق تعالى، وكل ما سواه عاجز ومفتقر إليه على جميع الأحوال. ولما علم هذا استراح عما كان يجده من الاشتغال بسوى ربه، ورجع إلى مولاه، وشكره على ما أولاه من تعليماً، فإنه لا يستحق أن يحب لذاته سواه، ولا أن يحمد من عداه، فضلاً عن أن يعتمد عليه، أو يعبده بقوله: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

ولما تم الفرح بمولاه، واستغرق في حبه، واستولى عليه سلطان محبته، وسرت في جميع عوالمه، روحاً وعقلاً، وقلباً وقالباً، حساً ومعنى، فكراً وخيالاً شرع في ذكره بقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الصافات: ٣٥] واستمر على الذكر، فإذا حصل له الاستغراق في مشاهدة المذكور، وترك النفي، واكتفى بالإثبات بقوله: **الله الله** إلى آخر المجلس.

وسادسها: أن يعلم أن المقصود الأعظم من هذا الذكر، وتكثيره تعظيم يوم الجمعة، لأن الله تعالى عظمها وتعظيم ما عظمّه الله تعالى واجب.

ويشهد لما ذكرناه ما رواه الإمام أحمد وأبو داود، وابن ماجه، وابن حبان، عن أوس بن أوس قال: قال ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُم الجُمُعَة فِيهِ خُلِقَ آدَم، وَفِيهِ قُبِض، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ**

مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ» وما رواه ابن ماجه بإسناد جيّد عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «أَكْثِرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ» وتَعظِيمُ الأَزْمِنَةِ وَالأَمْكِنَةِ الَّتِي عَظَّمَهَا اللَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا هُوَ بِزِيَادَةِ العِبَادَةِ.

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان، حتى ينسلخ يعرض عليه النبي ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة.

قال ابن أبي جمرة في بهجة النفوس، والكلام عليه من وجوه منها أن فيه دليلاً على تعظيم شهر رمضان، يؤخذ ذلك من كثرة نزول جبريل عليه الصلاة والسلام فيه للنبي، إلى أن قال يس والقرآن. وفيه دليل على أن تعظيم الأزمنة التي عظّمها الله تعالى والأمكنة، إنما هو بزيادة العبادة فيها، يؤخذ ذلك من فعل جبريل عليه السلام مع النبي ﷺ لذا كان في كل ليلة يدارسه القرآن، وما ذاك إلّا لينبه الأمة على كيفية التعظيم له. وقد قال ﷺ فيمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً: «غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» قال: «فَإِنْ سَبَّهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ» أو كما قال ﷺ: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي حَقِّ الأَشْهُرِ الحُرُمِ تَعْظِيماً لَهَا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَعَدَمُ الظُّلْمِ يَتَضَمَّنُ الإِحْسَانَ وَهُوَ زِيَادَةُ العِبَادَةِ».

وإذا تحرر هذا وفهمته فاعلم أن ما يذكره المنفرد من الكلمة الشريفة في الورد اللازم يذكر صباحاً ومساء، وفي الوظيفة مرة واحدة في كل يوم من الأيام الستة التي هي السبت والأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ألف وثمانمائة، وهذا العدد بعينه هو الذي يذكره المنفرد من الكلمة الشريفة، تذكر ثلاثمائة مرة في كل يوم مائة في ورد الصباح، ومائة في ورد المساء، ومائة في الوظيفة، وإذا ضربت ثلاثمائة في ستة، يحصل لك ثمانية عشر مائة، وهي ألف وثمانمائة مرة.

والمنفرد يذكر الكلمة الشريفة ثلاثمائة مرة من يوم الجمعة، من غير ما يذكر منها بعد عصر يوم الجمعة مائة في ورد الصباح، ومائة في ورد المساء، ومائة في الوظيفة، يذكر منها بعد عصر يوم الجمعة ألفاً وخمسمائة، فإذا جمعت ما ذكرنا يحصل لك ألف وثمانمائة مرة، وبهذا البيان تعلم أن المنفرد يذكر من الكلمة الشريفة في اليوم الشريف، الذي هو يوم الجمعة قدر ما ذكره منها في الأيام الستة كلها.

وإذا فهمت هذا علمت أن الشيوخ من أعظم نعم الله تعالى التي أنعم الله تعالى بها على التلاميذ، وأنهم من أعظم جنود الله تعالى يسوق بهم المريدين الطلبة إلى حضرته تعالى. إذ لولا الشيخ ما قدر أحد أن يلتزم بنفسه على نفسه فعل هذا الخير، والدوام عليه على هذه الكيفية العجيبة، وتعلم أيضاً أن هذه الزيادة، إنما هي تعظيم لهذا اليوم، فإذا كان هذا المنفرد هكذا فما ترى المجتمعين لذكرها؟ وكانوا جماعة كثيرة يحصل لكل واحد منهم ثواب ذكر رفيقه، وأسراره وأنواره، وإذا كان هذا في الأذكار اللازمة، وفي الورد اللازم، وفي الوظيفة اللازمة فما ترى في تلك الأذكار التي تذكر بالإذن الصحيح ولم تكن لازمة؟ وإذا كان هذا في نهارها، فماذا ترى فيمن يحي ليلها بصلاة الفاتح لما أغلق بالإذن الصحيح؟ ولم تكن لازمة مع ما اشتملت عليه الصلاة من الفضائل التي تقدم ذكرها في فصل فضائل الأذكار اللازمة.

وسابعها: أن يعلم أنه ينبغي للذاكر أن يقصد بهذا الذاكر الواقع بعد عصر هذا اليوم الشريف، شكر مولاه الذي امتنّ عليه بإيجاده في آخر هذا اليوم الشريف، حين أوجد أبا البشر آدم عليه السلام فيه، ولم يزل مولاه الكريم يحفظه بحفظ أصوله، وينقله من أصل إلى أصل، حتى أخرجه من أصله القريب سالماً، وحفظه حتى امتنّ عليه بمحض فضله بالإيمان به وبرسوله، وبكل ما بلغوا عنه تعالى.

قال في لباب التأويل: قال أصحاب الأخبار والسير والتواريخ أن الله عزّ وجلّ خلق التربة التي هي الأرض بلا دحو ولا بسط في يوم الأحد والاثنين، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات في يومين وهما الثلاثاء والأربعاء، ثم دحى الأرض وبسطها وطحاها، وأخرج منها ماءها ومرعاها، وخلق دوابها وحشيشها وجميع ما فيها في يومين وهما الخميس والجمعة، وخلق آدم في يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة، وقال بعد كلام وقيل: إن أول ما خلق الله القلم، ثم اللوح فكتب فيه ما كان وما سيكون وما خلق، وما هو خالق إلى يوم

القيامة، ثم خلق الظلمة والنور، ثم خلق العرش، ثم خلق السماء من درة بيضاء، ثم خلق التربة، ثم خلق السموات وما فيهن من نجوم وشمس وقمر، ثم مدَّ الأرض وبسطها من التربة التي خلقها، ثم خلق جميع ما فيها من جبال وشجر ودواب وغير ذلك، ثم خلق آدم آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة اهـ.

وثامنها: أن يعلم الذاكر أن الله تعالى تاب على أبيه آدم في هذا اليوم وفي هذه الساعة من ساعاته، لرجوعه إلى ربه بالإقرار بالربوبية، وتذلله بين يديه بقوله: ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، فبيّن تعالى أنه تاب عليه بقوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧] وهذا السر العظيم من الأسرار التي جعل هذا الذكر من أجلها في هذه الساعة، وفي هذا اليوم، ولا أحد يرجع لمولاه بأفضل من هذه الكلمة الشريفة. فمن رجع إليه بها في هذا اليوم، وفي هذه الساعة من أولاده تاب عليه مولاه. وإذا فهمت هذا فلا غرو أن يحذو الفتى حذو والده وفي السراج المنير عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩] روى مالك عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«خيرُ يوم طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدم عَلَيْهِ السَّلام وَفِيهِ أُهْبِطَ، وَفِيهِ مَاتَ، وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ وَهُو عِنْدَ الله يَومُ المَزِيدِ»**.

وتاسعها: أن هذا اليوم عيد عظيم لهذه الأمة الشريفة، ويوم العيد يكرّم فيه الناس بألوان الأطعمة والأشربة، وهذا العيد يكرّم فيه المؤمنون بزيادة الأنوار والأسرار، والمعارف والأحوال السنية، والأخلاق الزكية، وهذه السعة الشريفة التي يذكر فيها أهل هذه الطريقة الشريفة هذه ساعة من ساعاته، ولا شك أن الله يزيد أهل هذه الطريقة في هذه الساعة عند ذكر هذه الكلمة من الخيرات، زيادةً لا يعلم قدرها إلاّ الله، لأن هذا اليوم الشريف يسمى يوم المزيد.

وفي السراج المنير أيضاً عند قوله تعالى أيضاً: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ وروي أنه ﷺ قال: **«أتاني جِبْرِيل وَفِي كَفِّهِ مِرْآةٌ بَيْضَاء قَالَ: هَذِهِ يَومُ الجُمُعَةِ يَعْرِضُهَا عَلَيكَ رَبكَ لِتَكُونَ لَكَ عِيداً، وَلأُمَّتِكَ مِنْ بَعْدِكَ»** وهو سيد الأيام عندنا، ونحن ندعوه يوم القيامة ويوم المزيد.

وفي آخره حديث مالك المتقدم أخرجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قريباً وهو عند الله تعالى يوم المزيد.

وعاشرها: أن يعلم أن من جملة الأسرار التي جعل لأجلها ذكر هذه الكلمة الشريفة لأهل هذه الطريقة في هذه الساعة العظيمة، أن القيامة تقوم يوم الجمعة في هذه الساعة، ليعمر أهل هذه الطريقة هذه الساعة، التي تقوم فيها القيامة بذكر هذه الكلمة الشريفة، التي هي كلمة الشهادة فتشهد لهم الساعة والكلمة والحفظة والكتبة والبقعة غداً عند ربهم، أنهم من أهل التوحيد والإيمان بربهم وبلقائه المعتنيين بأمره، وتلك الساعة تنجيهم إن شاء مولاهم الكريم من أهوال ذلك اليوم وشدائده، وغضبه وعقابه، وتوجب لهم الرضوان الأكبر من مولاهم في دار رضوانه، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، مع فائدة أخرى تحصل لهم في هذه الدنيا، وهي أن المعرفة بأنها هي الساعة التي تقوم فيها القيامة، تعينهم على الحضور عند ذكر الكلمة الشريفة ولإعتبار قدر معانيها وفهم أسرارها وحقائقها، والعمل بمقتضاها تخلياً وتحلياً وتخلقاً وتحققاً وتعلقاً.

قال في السراج المنير عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ فيه خلق آدم عليه السلام، وفيه أهبط، وفيه مات، وفيه تيب عليه، وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد. وفي السراج المنير أيضاً عند قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢] قال أهل الأثر إن الله خلق الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق سائر ما في الأرض يوم الثلاثاء والأربعاء، وخلق السموات وما فيها يوم الخميس والجمعة، وفرغ في آخر ساعة يوم الجمعة، وخلق فيها آدم، وهي الساعة التي تقوم القيامة فيها.

ومما يؤيد ما ذكرنا أن السيوطي قال في حاشيته على صحيح مسلم قال القاضي: الظاهر أن هذه القضايا المعدودة ليست بذكر فضيلة، لأن إخراج آدم من الجنة وقيام الساعة لا يعد فضيلة، إنما هو بيان لمّا وقع فيه من الأمور العظام، وما سيقع ليتأهب العبد بالأعمال الصالحة لنيل رحمة الله؛ ودفع نقمته.

وقال ابن العربي في الأحوذي الجميع من الفضائل، وخروج آدم من الجنة هو سبب وجود الذرية وهذا النسل العظيم، ووجود الرسل والأنبياء والصالحين والأولياء، ولم يخرج منها طرداً، بل لقضاء أو طار، ثم يعود إليها، وأما قيام الساعة فسبب لتعجيل ثواب النبيين والصديقين والأولياء وغيرهم، وإظهار كرامتهم وشرفهم انتهى.

وبهذا نعلم أن وقوع هذا الذكر في هذه الساعة واقع موقعه، لأن من وفقه الله تعالى لتعمير هذه الساعة بهذه الطاعة، كان من الفائزين السابقين يوم القيامة. قال في لباب التأويل اتفق البخاري ومسلم في التخريج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيامَةِ بَيْدَ أَنَّهُم أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبلِنَا وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِم فَهَذَا اليَومُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ فَهَدَانَا الله تَعَالَى فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ اليَهود غداً وَبَعْدَ غَدٍ للنَّصَارَىٰ» وفي رواية قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ بَيْدَ أَنَّهُم أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا ثُم هَذَا يَومُهُم الَّذِي فَرَضَ الله تَعَالَى عَلَيهِمْ اخْتَلَفُوا فَهَدَانَا اللَّهُ تَعَالَى» زاد مسلم: «لَهُ يَعْنِي يَوم الجُمُعَةِ، ثُم اتَّفَقَا فَالنَّاسُ لَنَا تَبَعٌ اليَهود غداً وَالنَّصارىٰ بَعْدَ غَدٍ».

وأخرج مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَضَلَّ الله تَعَالَى عَنِ الجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا فَكَانَ لليَهُودِ يَومُ السَّبْتِ، وَللنَّصَارَىٰ يَومُ الأَحَد، فَجَاءَ الله تَعَالَى بِنَا فَهَدَانَا لِيَوم الجُمُعَةِ وَالسَّبْتِ وَالأَحَد كَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَومَ القِيامَةِ نَحْنُ الآخِرُونَ مِنْ أَهلِ الدُّنيَا الأَوَّلُونَ يَومَ القِيَامَةِ المُقْضَى لَهُم يَومَ القِيَامَةِ قَبْلَ الخَلائِقِ».

وأخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُون يَومَ القِيَامَةِ وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدخُل الجَنَّةَ بَيْدَ أَنَّهُم أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِم فَهَدَانَا اللَّهُ تَعَالَى لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِ بِإِذْنِهِ هَذَا يَومُهُم الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ هَدَانَا اللَّهُ تَعَالَى يَومَ الجُمُعَةِ فَاليَوم لَنَا وَغداً لليَهُودِ وَبَعْدَ غَدٍ للنَّصَارَىٰ» اهـ.

قال السيوطي في الديباج في حاشيته على صحيح مسلم: نحن الآخرون في الزمان أي في الوجود ونحن السابقون، أي في الفضل ودخول الجنة، فتدخل هذه الأمة الجنة قبل سائر الأمم اهـ.

فقد اتضح لك مما تقرر أن إيقاع هذا الذكر في هذا اليوم المبارك، وفي هذه الساعة المباركة، واقع موقعه فجزى الله تعالى عنا سيدنا محمد ﷺ، الذي رتب هذه الأذكار لسيدنا أحمد رضي الله تعالى عنه ولقنه إياها، وجعلها له ﷺ في الساعات الشريفة، التي منها هذه ما هو أهله.

وحادي عشرتها: أن يعلم أن نيل جميع أسرار هذا الذكر وثمراته منوط بإتصاله للغروب وكيف لا! وقد ورد في بعض الأحاديث أن الساعة التي يستجاب فيها الدعاء هي آخر ساعة بعد العصر **وفي الإبريز**.

وقال أبو داود عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «يَومُ الجُمُعَةِ ثِنْتَا عَشْرَةَ يَعْنِي سَاعَة لَا يُوجَدُ عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ الله تَعَالَى شَيئاً إِلَّا آتَاهُ فَالْتَمِسُوا آخِر سَاعَةٍ بَعْدَ العَصْرِ» قال عبد الحق في إسناده الحلاج مولى عبد العزيز بن مروان، وقد ذكره أبو عمر بن عبد البر بن عبد السلام بن حفص، ويقال له ابن مصعب عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ السَّاعَةَ الَّتِي يَتَحَرى فِيهَا الدُّعَاء يَومَ الجُمُعَةِ هِيَ آخِرُ سَاعَةٍ مِنَ الجُمُعَةِ» اهـ وحينئذ فلا بد أن يقصد تعمير هذه الساعة بذكر هذه الكلمة الطيبة إلى غروب الشمس، وأن يقصد بذلك وجه الله تعالى قصداً مجرداً من جميع الشوائب والأغراض والعوارض، وتأبى همته أن تلتفت إلى شيء دون مولاه، ويشير إلى ما ذكرنا كونه استفتح مجلس الذكر بقوله: **استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم** وأول ذنب يستغفر العبد له الشرك والكفر، وآخره أن يخطر في قلبه ما سوى مولاه، فضلاً عن أن يلتفت إليه، والذي يحمله على الاستغفار، إذا التفت إلى غير مولاه، علمه أن الخلق مخلوق مقهور مغلوب عاجز مفتقر، لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا جلباً ولا دفعاً في عاجله، والتفاته إلى من شأنه هكذا، عبث وسفه، وهوس وجنون، ورفع همته عمن هذه صفته إلى مولاه وخالقه القهار القادر، الذي خضع له كل شيء هو اللائق، وعلّمه أيضاً أن جميع ما في الأرض مخلوق له فعلاً، يشتغل به عن مولاه، وعلّمه أيضاً أن أباه آدم عليه السلام اصطفاه هذا الخالق وفضله على جميع مخلوقاته، التي ليست من جنس هذه النشأة الآدمية، وأسجد له ملائكة قدسه وتفضيل أبيه، إنما هو بالاشتغال بأمر خالقه فبه استحق الخلافة؛ فعلا ما يخالف أباه في الاشتغال بأمر الخالق، ويشتغل بأمر المخلوق، ويحط بذلك عن ميراثه الذي كان ينال من أبيه لو اتبع سبيله، وإذا كان هذا منظره فلا غرو أن يحذو الفتى حذو والده.

ولما علم أن الجمعة سيد الأيام لتعظيم الله تعالى إياه، وترغيبه في تكثير الذكر في الساعات التي بعد صلاة الجمعة، وهذه الساعات منها وتعليقه الفلاح بفعله لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠] علم بالضرورة أن الالتفات إلى غير هذا الرب الكريم والمولى العظيم، محض سفه وجنون، فلذلك شرع في الاستغفار من كل ما يوجب الاشتغال عنه بسواه.

قال: استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ثلاث مرات، ثم أتى بالصلاة عليه ﷺ ليكون دليلاً إلى مولاه الكريم. وقال: **اللهم صلِّ على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق** إلى آخره ثلاث مرات، ثم نبه نفسه على تعظيم الله تعالى نبيه محمداً ﷺ فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ ثم امتثل أمر مولاه إياه بتعظيم هذا النبي ﷺ الوارد في هذه الآية الشريفة قال: **صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً** ثم نزه مولاه عما لا يليق بتعظيمه وجلاله، وكبريائه وعلوه، وقال: ﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، ثم رجع إلى التوسل برسول الله ﷺ وبجميع رسل الله عليهم الصلاة والسلام بالسلام عليهم، أن يشفعوا له عند ربهم، أن يطهره من كل عيب وشين يوجب له الالتفات إلى غيره وقال: ﴿وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾. ثم حمد الله تعالى على ما ألهمه ووفقه لفعل ما تقدم وقال: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ ثم ترقى إلى الإقرار بالوحدانية له تعالى في أفعاله وأسمائه، وصفاته وذاته، ونفي الشركة والتشريك له في شيء ما. وقال: ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ على قدر ما قدر الله تعالى له، ثم أنه لما غاب عن وجوده ووجود غيره لاستغراقه في مشاهدة مذكورة، الذي هو مولاه من الله تعالى عليه برده إلى التوسل بسيد أهل الحضرة، لتكون واسطة بينه ﷺ وبين الحق مقوية على الثبوت لهذا الشهود بقوله: **محمد رسول الله عليه سلام الله** ولما حصل له بواسطته ﷺ قوة زائدة على ما حصل له قبلها، انتقل من مقام النفي إلى مقام الإثبات، لفناء كل ما سوى الله تعالى عن نظره شهوداً واعتذاراً فقال: **الله الله** إلى منتهى ما قسم له في ذلك المجلس.

وبهذا تعلم أن المقصود الأعظم من هذا الذكر انتقال الذاكر من رؤية الأكوان إلى الاستغراق برؤية المكون، لأن زبدة جميع الأذكار المتقدمة في الأيام الستة لما تقدم، من أن ثمرات الذكر بجميع الأسماء والصفات، مجموعة في الذكر الفرد وهو قولنا: **الله الله** هو الغاية وإليه المنتهى، لأن الذي يكرر ويقول: **الله الله** يحثّ نفسه وسامعه على ملازمة ذكره، والجمع على مسماه سبحانه وتعالى بالرجوع إليه تعويلاً واستناداً، واعتماداً وتوكلاً، والتجاءً ومحبة، وتعظيماً واعتباراً في جميع الأمور، بحيث لا يستند إلى أمر من الأمور إلاّ كان المطلوب من العبد الرجوع إلى الله تعالى، كأن الذي يذكر هذا الاسم يقول عليك بالله عليك بالله، وإن شئت قلت: إن ذاكر هذه الكلمة كون اهتمامه في ابتداء أمره، تطهير قلبه من الشرك، بنفي الشريك لمولاه، كأنه يقول لا معبود بحق سواه.

ثم انتقل إلى نفي التوهمات التي تعرض له من خوف مخلوق، أو طمع فيه، لأنه لا محيي ولا مميت، ولا نافع ولا ضار، إلّا الله، لا معطي ولا مانع، إلا الله. ولا معز ولا مذل إلّا الله، ولا قابض ولا باسط إلا الله. إلى غير ذلك مما يطول، ثم انتقل إلى نفي تعلقه بمحبوب له مع الله تعالى ونحو ذلك، كأنه يقول لا محبوب إلا الله تعالى لا مطلوب إلّا الله تعالى لا مراد إلّا الله تعالى. لا مختار إلّا الله تعالى. أي لا أحد يستحق أن يحب، أو يطلب، أو يراد، أو يختار لذاته من ذاته، ولا أن يحب ويحمد ويشكر، ويعبد ويتذلل ويخضع له، ويخاف ويرجى، ويعظم ويطاع ويحذر من مخالفته، ولا يلتفت إليه غيره.

ولما انتقل إلى هذه الحالة صار كأنه يسمع هاتفاً من الهواتف الحقيقية يقول له ما مطلوبك؟ فأجابه بقوله: **الله الله**، ثم إن الله تعالى لما أتم له ما قدر أن يجري لسانه من هذا الذكر، ألهمه التعوذ من الشيطان الرجيم، ليرده عن رؤية حوله وقوته فقال: **أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**. ولما رجع إلى مولاه؛ واعترف بعجزه، ألهمه تعالى حمده وشكره، على ما منّ به، وأسبغ عليه من النعم الظاهرة والباطنة، التي من جملتها هذا الذكر الشريف وقال فرحاً وسروراً بهذا المولى الرحيم والمنعم الكريم: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ إلى آخره، ولما شكر المنعم على الحقيقة، رجع إلى شكر الواسطة ليجمع بين الشريعة والحقيقة وقال امتثالاً لأمر مولاه: **اللهم صلّي على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق** إلى آخرها. وقرأ هذه الصلاة ثلاث مرات للسرّ الذي سبق ذكره. ثم قرأ ما يشير إليه إلى أنه إنما صلّى على هذا النبي لتعظيمه وحبه، وامتثال أمر مولاه، حيث أمره بذلك وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾، ثم لما علم أنه لا يكون مقبولاً عند هذا الملك العظيم ولو بلغ في اجتهاد في عبادته تعالى ما بلغ إلّا بتعظيم هذا النبي الكريم، والاجتهاد في تبجيل جنابه الجسيم وجاهه العظيم، وإكثار التوسل به إلى ربه الرحيم، رجع إلى الصلاة عليه ﷺ، إعلاماً بأنه امتثل أمر مولاه الوارد في هذه الآية الشريفة، حيث عمل بمقتضاها قبل تلاوتها وبعدها فقال: **صلّى الله عليه وسلّم تسليماً**.

ولما علم أن تنزيه الحق تعالى كما ينبغي لجلاله وكبريائه، وعلوه وعظمته غير مقدور له، إنما ينزه الحق تعالى على قدر معرفته به، ومعرفة ذات الحق تعالى وصفاته وأسمائه على ما هي عليه، غير مقدور له كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١] ومن رام أن يقف على حقيقة ذلك خسر دنيا وبرزخاً وأخرى، ولذا توعده تعالى بقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨] رجع إلى أعلى المقامات وهو الاعتراف بالعجز عن إدراك كنه ذاته وقال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠].

ولما علم أن هذا العلم النافع، إنما ناله بواسطة رسل الله تعالى، رجع إلى السلام على جميعهم، لعلمهم بأن شكر الواسطة واجب شرعاً قال: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٨١]، ثم إنه علم أن الأنعام عليه بتوفيقه لفعل ما ينفع، وصرفه عن فعل ما يضر الله تعالى وحده، ترقى عن شكر الواسطة إلى شكر المنعم الحقيقي وقال: ﴿والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

فإن قلت: فلِمَ لا يكتفي الإنسان بعلم الباطن المسمى علم الحقيقة، فيعلم بها حيث كانت هي المقصودة بالذات، فلم يقدم على الظاهر المسمى بالشريعة التي هي الوسيلة. فأي فائدة في إحرام الوسيلة والاستعمال بها والتوسل بها بعد حصول المقصود بالذات.

قلت: اعلم وفقني الله تعالى وإياك لما يحبه ويرضاه، أن علم الشريعة الذي هو علم الظاهر وسيلة إلى المقصود بالذات، الذي هو علم الحقيقة كما ذكرت، وعلم الحقيقة أفضل وأشرف منه، إلا أن الانتفاع بعلم الحقيقة منوط باستصحاب علم الشريعة.

قال الشيخ أحمد بن المبارك في الابريز إن شيخه عبد العزيز بن مسعود القطب رضي الله عنهما قال: إن علم الباطن إذا لم يكن معه علم الظاهر، قلَّ أن يفلح صاحبها. وقال أيضاً: إنه قال إن علم الباطن بمثابة من كتب تسعاً وتسعين سطراً بالذهب، وعلم الظاهر بمثابة من كتب السطر المكمل مائة بالمداد، ومع ذلك فإن لم يكن السطر الأسود مع سطور الذهب المذكورة لم تفد شيئاً، وقلَّ أن يسلم صاحبها، ثم قال لي مرة أخرى: إن علم الظاهر بمثابة الفنار الذي يضيء ليلاً، فإنه يفيد في ظلمة الليل فائدة جليلة، وعلم الباطن بمثابة طلوع الشمس، وسطوع أنوارها وقت الظهيرة، فربما يقول صاحبه لا فائدة في هذا الفنار الذي في يدي، قد أغناني الله تعالى عنه بضوء النهار. وعند ذلك يذهب عنه ضوء النهار، ويعود إلى ظلام الليل، فبقي ضوء نهاره مشروطاً بعدم انطفاء الفنار الذي بيده. وكم من واحد زلَّ في هذا الباب ولا يرجع له ضوء نهاره، إلا إذا أخذ الفنار وشعلّه مرة ثانية، وقد يوفقه الله تعالى، وقد لا يوفقه. نسأل الله تعالى السلامة والعافية بمنه وكرمه اهـ.

قلت: وكم من متوسل به إلى مقصود، فيحصل ذلك المطلوب لطالبه، ثم تكون طاعة الوسيلة، والتزام احترامه، ودوام التوسل به شرطاً في دوام ذلك المقصود الحاصل لطالبه، وذلك كالرسل مع أممهم، فلا شك أن المقصود الأعظم من بعث الرسل إلى الخلق، بتبليغ أمر الله تعالى ونواهيه إلى من أرسلوا إليهم: وأن المقصود الأعظم للذين صدقوا الرسل وآمنوا بالله تعالى، وبكل ما جاؤوا به عن الله تعالى، أن تدلّهم الرسل على الله تعالى وتجمعهم عليه، حتى يحصل لهم العلم به تعالى، ومعرفة رسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر، وجميع ما اشتمل عليه، والإيمان بجميع ما يجب الإيمان به، ومعرفة أحكامه التكليفية، وكيفية التعبد بها، ومعرفة ما يقرب إليه وما يبعد العمل بمقتضاه.

وإذا حصل ما ذكر فقد حصل لهم المقصود بواسطة الرسل بينهم وبين ربهم، إلّا أن الانتفاع بما حصلوا مشروط منوط ببقاء توسلهم بالرسل إلى الممات، ومتى انقطعت الواسطة بين أحد وبين الرسل يكفر في تلك الساعة والعياذ بالله تعالى. وكذلك المريد مع شيخه، فإن المريد إذا انتهى سيره ووصل إلى الحضرة الإلهية، ينفصم عنه شيخه، مع أن فلان المريد وانتفاعه بما حصل منوط ببقاء احترامه لشيخه، وعدم مقاطعته واستهانته، مع أنه قد زال تقيّده بالشيخ، وصار مستقلاً بنفسه، وهو مع ما يلقي الله تعالى إليه إذاً تأهلاً لذلك، تأهلاً تاماً كاملاً.

لكن متى زالت حرمة الشيخ من قلبه وتعظيمه، خسر في الحال. نسأل الله السلامة والعافية بمنّه وكرمه.

وسُئل شيخنا سيدي أحمد التجاني رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: كما في جواهر المعاني: هل غاية